"الشخصية المتأهبة"

الدكتور عقيل حسين عقيل

الشّخصيَّة المتأهِّبة

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

المحتويات

المقدّمةُ 4

التأهُّبُ 6

الشّخصيَّة المتأهّبة دراية 17

الشّخصيَّة المتأهّبة قلقًا 18

الشّخصيَّة المتأهبة استبصارًا 21

الشّخصيَّة المتأهّبة إرادة 28

علاقة التأهّب بالتهيّؤ 34

علاقة التأهّب بالاستعداد 37

المستويات القيميَّة للتأهّب 40

التأهّبُ الذَّاتي 40

التأهّب التطلّعي 46

التأهّب الإنسحابي 51

التأهّبُ الأناني 58

التأهّب الموضوعي 66

الشّخصيَّةُ المتأهبةُ لنيلِ المأمولِ 74

المأمول ليس بمستحيلٍ: 81

الشّخصيَّة المتأهّبة لا ترى المأمول إلَّا ممكنًا 95

الشّخصيَّةُ المتأهِّبة متحدّية للصِّعاب 105

تحدّي الصِّعاب تحدّي المخاطر 118

الشّخصيَّة المتأهُّبة للفعل 120

إقدام الشّخصيَّة على الفعل 127
الشّخصيَّة المتأهبة لمواجهة أفعال التغييب 131
صدر للمؤلّف 140
المؤلّفات 142
المؤلّف في سطور 162

المقدّمةُ

الشّخصيَّة المتأهِّبة شخصّيَة متميّزة بتأهُّبها للإقدام أو الاحجام، ولكلٍّ علله ومبرراته، ومع ذلك ينبغي أن تكون الشّخصيَّة متأهبَّة لما يواجهها من موقف أو تحدّي، وإلَّا ستكون شخصيَّة بلا سداد رأي.

ومن هنا فإنَّ سداد الرّي يحفّز الشّخصيَّة على الاقدام أو الاحجام؛ ولذا فإنَّ كلٍّ من الاقدام والاحجام يستوجبان تأهُّبًا ودراية وإلَّا ستكون النتائج والأفعال أو الاعمال والمواجهات ذات أثر سالب.

والتأهُّب مرحلة عقليَّة متقدّمة لا يمكن بلوغها إلَّا من بعد:

. إرادة حرَّة.

. إعداد العدَّة.

. الاستعداد.

أي إنَّ التأهُّب لا يكون إلَّا وله معطيات تسبقه، وهو المترتّب عليها، فو لم تكن ما كان، مما يجعل التأهُّب قرار وسلوك تجاه الهدف أو العمل المراد إنجازه أو بلوغه وتحقيقه.

ولأنَّه التأهُّب فهو لا يكون على مقياس واحد أو معيار واحد، بل هناك معطيات هي التي تحدّد مستواه القيمي، الذي يجعل الشخصيَّة المتأهبة متأرجحة بين:

. الشّخصيَّة الذاتيَّة.

. الشّخصيَّة المتطلّعة.

. الشَّخصيَّة الموضوعيَّة.

. الشَّخصيَّة الإنسحابيَّة.

. الشّخصيَّة الأنانيَّة.

ولأنَّ التأهُّب في دائرة الممكن لم يكن مستحيلًا، فإنَّ الأخذ به لمن أراد سدادًا ضرورة؛ ولذا ليس لأيِّ شخصيَّة من بدٍّ إن أرادت ارتقاء أو إحداث نُقلة إلَّا أن تلتفت لنفسها، وأن تحدّد أهدافها، وتحدَّد مأمولاتها المرجوة، مع تحديد الإمكانات الأساسيَّة واللازمة للإنجاز وبلوغ المأمول.

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

التأهُّبُ

الشّخصيَّة المتأهِّبة هي التي قطعت أواصل التردّد من عقلها، وقبلت بالإقدام عملًا ولو كان الثَّمن مرتفعًا، والمتأهِّب هو من عدَّ العدّة واستعدَّ وتهيأ، ثم من بعد لك أصبح متأهِّبًا للعمل أو المواجهة والفداء نصرًا أو استشهادًا.

ولذا فالتأهّب لا يكون إلّا بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد، وهو مرحلة متقدّمة من أجل تنفيذ الفعل والإقدام عليه في الوقت المناسب، وهو السّاكن في كمون الحركة الظّاهرة للامتداد.

والتأهّب فطنة، هو: حسابات عقليَّة وبصريّة مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فلتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

فالتأهُّب فطنة ووعي وإلمام بما يجب في الوقت الذي يجب أن يكون فيه، والمكان المخصّص له، مع مراعاة الظرف الموضوعي من أجل سلامة التنفيذ، وسلامة المنفّذ.

للتأهُّب مفهوم لفظي علائقي مكوّن من المجموع القيمي لكلٍّ من:

. الانتباه، لِما يجب.

- الدراية، كيف يجب.

- اليقظة، حول ما يجب.

- الفطنة، لأخذ ما يجب.

- التحفُّز، تجاه ما يجب.

- الإصرار، عزم على ما يجب.

- الرّغبة، فِي ما يجب.

- الحِرص، على سلامة ما يجب.

- الوعي، بما يجب.

- التيقُّن، تمسّك بما يجب.

يُعدّ التأهُب مرحلة ما قَبل الفعل (أيّ فعل)، وهو مرحلة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة؛ فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فعلى سبيل المثال: عندما تستوجب المواجهة مع الخصوم يصبح التأهّب هو الذي يستوجب مرابطةً تستدعي أن يضع المرابط أُصبعه على الزّناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال، وذلك بهدف ألا تشتعل، لأنَّ المتأهّب حريص على ألا يكون سببا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[1]، تحرّض هذه الآية على التأهّب وفقا للاستطاعة، ولهذا جاء قوله (ومن رباط الخيل) أي ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدُّوه، ولا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت؛ فبما أنَّكم تستطيعون إعداد أعدادٍ أكثر أعدّوا دون تردّد، وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عُدّة وتهديدا ووعيدا، تصريحا وتلميحا.

وعليه: فالرِّباط هو الملازمة والمداومة التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبا لخوض المعركة إن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلا أم أنَّها آلات حديثة ومتطوِّرة، ولذا فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمَّ التفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام وساد السّلام بين النَّاس أقارب على الحدود، وأباعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}[2] آية كريمة تدلُّ على أهميّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النّاس، ولذلك أمر الله عباده بالصبر والمصابرة، أي: اصبروا على ما أنتم عليه حتَّى

[1] الأنفال 60.

[2] آل عمران 200.

تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل خيّرة، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقوله: (وَرَابِطُوا) تواجدوا متأهّبين مرابطين بعزمٍ وحرزٍ على صون الحدود وأمن البلاد أرضا وشعبا من الذين يهدّدون ويتوعَّدون ويشكِّلون خطرا عليكم في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا لا ينبغي أن تغفلوا عن تأهّبكم وأعملوا على إظهار قوّتكم متأهّبين أمام مشاهدة وملاحظة عدوّكم لقواتكم التي أعددتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه، مصداقا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}3.

الاعتداء بدون شكٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على النَّاس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن اعتدي عليكم؛ فعليكم بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلا لِمَا اعتُدى به عليكم، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}4.

ولذا فإنَّ إظهار القوّة والمتأهّبين بها على ظهور الخيل أو الدّبّابات والطّائرات والعربات والمعدَّات المتطوّرة ضرورة استعراضية أمام مشاهدات وملاحظات الأعداء والأصدقاء؛ وذلك لأجل أن يُرهَب بها الأعداء؛

---

[3] البقرة 190.

[4] البقرة 194.

فيحسبوا حِساباتهم إن فكّروا في الاعتداءِ ظلما، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئنَّ قلوب الذين أمنوا من الأصدقاء فتزداد إيما مع إيمانهم.

وعليه فإنَّ الشّخصيَّة المتأهّبة لا تدخل المعركة إلَّا والعدّة معدَّة مع وافر الاستعداد والتأهّب استعراضا بمقاليد القوّة يُرهب بدون شكٍّ كلِّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي ظلما.

إذن (رابطوا) تحتوي في مضمونها ومفهومها ضرورة استمرار التأهُّب دون انفكاك عن المرابطة حتَّى ينتهي من أذهانكم كلّ ما يخيفكم من أعدائكم.

وبعد أن يرى العدوّ تأهّبكم بالعُدّة الحربيّة والقتاليّة والخيل التي قد تأهَّبتم عليها ورابطتم بها، ثمّ بعد ذلك اعتدى عليكم بالمقاتلة؛ فعليكم مقاتلته، ولكن إن جنح للسّلم فاجنحوا لها، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}5، أي وأنتم أقوياء، وأراضيكم غير محتلّة، ولا مهجّرون؛ فإن جنح المعتدون للسّلم فاجنحوا لها إرادة وتهيؤا واستعدادا وإعداد عدّة وتأهّبوا بالقوّة، ومن لا يمتلك القوّة يجد نفسه غير مقدّرٍ ولا معتبر، وهو معرّض للقتل أمام المتوقّع وغير المتوقّع بين صدمة ورُعبة.

[5] الأنفال 61.

ومع أنَّ التأهّب يؤدّي إلى المرابطة واستعراض القوّة التي تمّ إعدادها والاستعداد بها، ولكن من حيث المفهوم هناك فرق دلالي بين إعداد القوَّة، وإعداد رباط الخيل من حيث:

. قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) إنَّ القوّة قد يتمّ إعدادها، ولكنَّها قد لا تُحقّق إرهابا للعدو إذا لم يعلم العدو بها ويشاهدها بأمِّ عينيه؛ فعندما تُخزّن الأسلحة والعتاد المتنوّع والمتعدّد ولا يتمّ إظهاره، قد يظنّ البعض أنّك لم تمتلك القوّة التي تُرهبه؛ فيعتدي عليك ظلما وطمعا ويفاجئك بالقتال ويُجبرك على مقاتلته.

. أمّا قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) إظهار القوّة عُدّة وعتادا وفرسانا وخيلا وتنظيما وتأهُّبا، ولهذا رباط الخيل هي التي لولاها لكان السّلاح مخفيّا في المخازن، ولكن بها ظهر أمام الملأ لتؤدَّى به رسالة مفادها (لقد أعددنا العُدّة، وامتلكنا القوَّة، ونحن الآن مستعدّون عن إرادة، ومتأهِّبون لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنَّنا لا نرغب قتالكم ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر).

إذن: التأهُّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعد هيّنا؛ فخذوا حذركم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[6] أي تأهّبوا تيقّظا وانتبهوا واحترزوا العدوَّ كي لا ينال منكم شيئا؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم

[6] النساء 71.

سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدُر بكم أو يتمّ الاعتداء عليكم ظلما؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جديّة؛ فالأمر لم يعد هيِّنا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ سيأخذه مأخذ الجدّ أيضا، وإن أخذه مأخذ الجدِّ جعل لكم اعتبارا يدفعه إليكم جانحا للسّلم الذي يستوجب منكم الجنوح إليه وفقا لقاعدة قبول التحدّي وقبول السّلام.

وكما أنَّ إعداد العُدّة حقّ لمن هو خائف من المخيف المرهب وهو الذي لا يُقدِّر ولا يَعتبر الآخرين؛ فكذلك التأهّب بالمرابطة هو استعراض قوّة، وغايته نيل التقدير والاحترام.

والتأهّب هنا هو تَوفُّر العزم مع وافر الإصرار على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون ممّا يجعل الأصبع على الزّناد استعدادا للرّمي في زمن الانقضاض.

فالتأهّب يؤجّج في نّفس الشّخصيَّة المتأهِّبة حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع بلاءٍ واستماتة على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ خوفا من التأخير الذي فيه تكمن المفاجئات، ولذلك دائما لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

التأهُّب الموجب يملؤه اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ فالرّامي عندما يكون متأهّبا تكون مشاعره وأحاسيسه منصهرة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل والشّك من ملكاته منتزع انتزاعا.

فذلك الصّحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد في 14 سبتمبر 2008م، لو لم يكن متأهِّبا للرّمي ما رماه أمام أعين النّاس وعلى شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصّحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصّحفي الموقَّر.

ولذا فالشّخصيَّة المتأهبة للشّيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد تستطيع أن تُنفِّد ما تشاء كيفما تشاء بحذاء أو بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد أو أن يبصق على من يشاء، دون أن ينتظر رأيا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالتأهّب يعدّ منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ وتهيأ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيويَّة الأمل.

فالشّخصيَّة المتأهّبة على مستوى المسؤوليَّة هي التي أصبحت مستعدّة حيال إنجاح مهمة من مهامهما المناطة بها، ولكنَّها في كثير من الأحيان لا تستعدّ لغير المتوقّع ممّا يجعل المفاجئات تتكرّر أمامها على الرغم من الاستعداد والعُدّة والعتاد.

ومع ذلك فالاستعداد لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنًا ومحقِّقا للفوز والانتصارات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهمية وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يعتدي ظلما أو يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

ولذا فالتأهُّب قرار في زمن الأخذ به يُعدّ ساري المفعول في جعل العُدّة تحت أمر المتأهّب غير منقوصة، بل مُفعّلة للاستخدام متى ما شائها أن تكون متلازمة الحركة والوظيفة مع حركته أثناء المرابطة الميدانيّة. وبأسباب التأهّب الإرادي يصبح المتأهّب متحمّلا للمسؤوليَّة وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنّ التأهّب سلوك ظاهر؛ فهو القابل للمشاهدة والملاحظة، ولهذا جاءت المرابطة أمرا ظاهرا فيها تتوحّد العُدّة والخيل والمرابطة بها ليكون التأهّب الظاهر إنذارا وتحذيرا بالعُدّة والعتاد والإرادة والاستعداد والخيل والفرسان، وهذا الأمر في زمنه، أمّا اليوم فالقوّة متطوّرة ومتنوّعة ولكلّ عصر قوّته وفرسانه، وفي جميع الأزمان الغرض هو إرهاب العدوّ كي لا يعتدي وليقف عند حدّه، وفي حالة اعتدائه تكون المواجهة بالنّسبة له قاسية والخسارة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع متماثلة؛ ممّا يجعل النّهاية بين الأطراف تفاوضا ومصالحة وتفاهما بالقوّة.

وفي كلتا الحالتين يُعدُّ إعداد العدّة إرهابًا من أجل القضاء على الخوف وأسبابه المخيفة.

ويُفهم من قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) أنَّ (العدّة والخيل والمرابطة) معطيات مُرهبة، ولكنّها لا تخيف، بل الذي يُخيف هو (الإنسان) الذي يُفسد في الأرض ويسفك الدّماء فيها بغير حقّ.

ولذا فالمرابطة هي إعلان حُسن النيّة من قِبل الذي يمتلك القوّة، والغاية من ورائها تحقيق السّلام، وليس الإفساد في الأرض وسفك الدّماء فيها بغير حقّ. إنَّها إعلان قبول التحدّي من أجل التخلّص من الخوف إلى الأبد، ولكن إن كان هناك إصرار وعدم تقدير للموقف وظنُّ الخصم أنَّ المغلوب على أمره لا يستطيع النّهوض والتحدّي؛ فقد تكون المواجهة ضرورة لقياس القوّة غير المتوقّعة، ممّا يجعل للمقاتلين في الميدان الكلمة الفاصلة في تحقيق معادلة فرض مبدأ التقبُّل بين الأنا والآخر، ويكون الحلّ هو الاعتراف المتبادل.

وعليه فإنَّ النّصر لا تُحقّقه المعدّات الحربيّة مهما تطوّرت، بل النّصر عبر التاريخ يحقّقه من يقرّر مع التنفيذ أنّ قبول الموت في الميدان هو المطلب الرّئيس، ولهذا الشعوب التي حرّرت أراضيها حرّرتها بهذا القرار حتَّى ولو اتخذت سلاحها الحجارة.

التأهّب استجماع قوّة مع وافر الانتباه وأخذ الحيطة والحذر من المفاجآت في سبيل تحقيق النّجاح أو الفوز عند القيام بأداء واجب، ويعدّ

التأهّب حيويّة الإقدام على الفعل والوقوف على أعتاب ما ينبغي القيام به عملًا أو سلوكًا. إنّه الأخذ بأسباب القوّة مع وافر التهيّؤ والاستعداد لما يمكن أنّ ينجز؛ وهو إصرار الشّخصيَّة المتأهّبة مع حرارة الأمل في سبيل بلوغ الغاية ونيل المأمول ولو كان سالبًا، وهو لا يكون إلّا:

. عن رغبة

. عن معرفة.

. عن وعي.

. عن الحاجة.

. عن إرادة.

. بقبول المتوقّع وغير المتوقّع.

. بعد تهيؤ.

. بعد استعداد وإعداد عدّة.

ولهذا فالتأهّب نتاج الفكرة مع اختيار ورغبة تُحفّز على الإقدام (الموجب أو السّالب) متى ما تهيأت للإقدام ظروفه، ومن ثمّ فهو ولادة الحيويّة تجاه إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات، أو نيل المأمولات. أي إنّه استجماع القوّة لمواجهة المحيّر أو المستفزّ، أو من أجل إيجاد ما يشبع الحاجة ويطمئن النّفس.

فالتأهّب التفات الشّخصيَّة إلى ما يجب، واهتمامها بما يجب، مع أخذ الحيطة والحذر، بغاية النّجاح، وهو يدل على:

. تنفيذ قرار قد اتخذ مع معرفة تامّة بالمترتّب على تنفيذه.

. قبول تحدّي الصّعاب حتى وإن كان التأهّب انسحابا.

. قبول المواجهة مع المؤلم.

. إصرار وعزيمة في دائرة الممكن.

. خوف من المخيف؛ ممّا يستوجب مواجهته بدلا من تجنّبه أو الابتعاد عنه.

. يقظة تامّة بما يجب والأخذ به، وبما لا يجب وتفاديه، وهنا قد يكون ما يجب من أجل تنفيذ الفعل السّالب وقد يكون لتنفيذ الفعل الموجب ولكلّ حساباته.

الشّخصيَّة المتأهّبة دراية:

عندما تتأهّب الشّخصيَّة لفعل ما تكون قد ألمت به إلمامًا تامًّا، أي إنّ المتأهب يدري بما عليه من واجبات وما له من حقوق؛ فلا يتأخّر عن أداء واجب ولا عن ممارسة حقّ عندما يكون موجبا، ولهذا فحالة التأهّب لا تبلغ إلّا عن إرادة ورغبة، ثمّ بعد تهيؤ واستعداد ودراية بأسرار وعلل المتأهب له تفاديا للوقوع في الفشل أو الخسارة حتى وإن كان المقصد أنانيا.

ولا يمكن أن تُبلغ مرحلة التأهّب إلّا إذا توافرت المعلومات الكافية لأداء الفعل أو القيام بالواجب، أو لمواجهة ما يشكّل خطرا، ولذلك يجب أن يكون الإنسان على الدّراية المعرفية في كلّ ما يتعلق بالموضوع المتأهّب من أجله، وإلّا سيفاجأ؛ فالتأهّب يستوجب دراية بالمتأهّب من أجله كي تُحمل المسؤوليَّة وما يترتّب عليها من أعباء.

وهنا؛ فالتأهّب يؤدّي إلى:

. التمكّن من الوقوف على أعتاب الفعل.

. التحفّز على الانقضاض متى ما جاءت ساعة الصّفر.

. التمكّن من المستهدف دون تردّد.

ولأنّ للمتأهّب دراية بالموضوع أو المشكل؛ فهو يعرف متى يتقدّم ومتى ينسحب، ومتى يفاوض، ومتى يقف على الحياد.

الشّخصيَّة المتأهّبة قلقًا:

مع أنَّ مفهوم القلق فيه من الاستعجال ما فيه، فإنَّه بالنّسبة إلى الشّخصيَّة المتأهّبة لا يوصف استعجالًا، بل أنَّه يعكس شوقها إلى لحظة العمل؛ لكيلا تتأخر عنه ثانيّةً.

ومع ذلك سيظل زمن الانتظار مقلقًا للمتأهّبين والمتحفّزين إلى تحقيق الأشياء أو بلوغها، حتى وإن كان لإجراء مقابلة بهدف الحصول على فرصة عمل، أو حتى وإن كان لسفرٍ وفي جيب المتأهّب للسّفر كرت الصّعود،

أو حتى إن كان أمام سلّم الطّائرة؛ فما بالك إن كان لمتأهّب ينتظر خوض معركة نصر أو خسارة (حياة أو موت)؟

وهنا أقول:

هناك فرق بين التأهّب الذي لا يطيق أصحابه زمن الانتظار، وبين التأهّب الذي يتجاوز القلق، شريطة أن يكون التأهب عن إرادة ورغبة وقناعة، ومع ذلك فلكلّ قاعدة استثناء؛ فالانتظار مقلق عندما يكون وقته على حساب الرّغبة والحماس الذي يحفّز النّفس على قبول التحدّي، وقد يكون على حساب أداء الفعل؛ فالمتأهّب لابدّ وأن يكون قد نسف جسور العودة، طال الزّمن أم قصر، وإلّا سيكون التراجع متيسرا كلّما طال زمن الانتظار؛ فخذوا حذركم أيّها المخططون وارسموا السّياسات والعاملون على إحداث النُقلة وصُنع المستقبل.

ولذلك ينبغي أن يلحق التأهّب نفس المتأهّب ويغوص في شخصيّتها عمقًا حتى يرى المتأهّب نفسه جبلًا ولا تهزّه الرّياح، وأن يقبل شراب المرّ وهو على ثقة أنّه لا حلوٍ إلّا من بعده، وأن يثق أنّه كلّما ازدادت المرارة اقترب من ذلك المأمول حلاوة.

ولذا فالشّخصيَّة المتأهّبة إيجابًا لا يدخل في نفسها سلبيَّة القلق أبدًا، ولكن وإن دخل؛ فلا تعدّ الشّخصيَّة متأهّبة، حتى وإن عدّها البعض متأهبةً، ومن ثمَّ فإذا دخلت ميادين المنافسة فلا تفوز، ومن هنا تلد الخسارة خسارة، وهنا يُفقد الرّجال في غير وجهة حقّ، لأنّهم لم ينسفوا جسور

العودة، ولم يكونوا قد تهيأوا لمواجهة القلق؛ فالقلق يجب أن يواجه قبل أيّ رحلة، وقبل أيّ مواجهة، وقبل أيّ إقدام على الفعل أو العمل.

وعليه: القلقون لا يصنعون تاريخًا، ولا يسهمون في صناعة التقدّم، ولا يحقّقون نصرا، ولا مقدرة لهم على دخول ميادين المنافسة الحرّة. عقولهم يملؤها القلق؛ فلا حيز للتفكير، يبدؤون حديثا ولا يتمون حديثهم، ويبدأون عملا ولا يلتفتوا إلى تجويده، يقلقهم زمن التعليم فلا يتمون تعليمهم، ويقلقهم زمن التدريب فلا يتمون تدريبهم؛ فهؤلاء ومن على غرارهم لا يعدّون من المتأهبين في شيء.

فالتأهّب مرحلة متقدّمة من الثّقة في النّفس، والثّقة بالموضوع المتهيأ من أجله، مع وافر الرّغبة والاشتياق للإقدام، وهنا نلاحظ الفارق بين قلق المتأهّب، وبين قلق من حُسب متأهبا؛ فقلق المتأهّب يعكس الرّغبة في دخول الميدان عملا أو مواجهة، أمّا قلق غير المتأهّب فيعكس الرّغبة في التخلّي والخيانة والانسحاب بدلا من الإقدام ودخول الميدان، ولكن استثناء يجوز أن يكون للانسحاب تأهّب.

إذن: القلق حالة نفسيّة إن سيطرت على الإنسان؛ فلا توازن، وهو من أمر الحياة الاعتياديّة ويواجه الجميع، ويصعب تحدّيه، ولكن المتأهّبين متى ما تحدّوا فهم قادرون.

إنَّ البقاء على حالة القلق من عدمه يترتّب على المراحل السّابقة للتأهّب، وهنا إذا حدث القلق وأفسد صمود المتأهبين؛ فعلى الباحثين أو

المسؤولين الذين أعدّوا الخطط ورسموا السياسات أن يقوموا بمراجعة تلك المراحل التي سبقت التأهب، وهي:

. الإرادة: هل هي السّبب في تحفيز الإنسان إلى المشاركة أم أنّ ضغوطًا كانت مختفية من ورائها، أم أنّ المشارك كان مجاملًا لرَّغبة الوالدين أو رغبة من تربطه بهم علاقات خاصّة؟ فإذا كان هناك شيء من هذا؛ فلا استغراب أن يخيّب القلق أمل المخططين وراسمي السياسات.

. التهيّؤ: كونه نفسيًّا عقليًّا بدنيًّا لا يكون إلّا عن فطنة ومعرفة بالمستهدف، مع إحساس بالأهميّة النافعة لمن أصبح متهيئا للقيام بما يجب، وهنا؛ فإن كان الإنسان قد تجاوز هذه المحطات بحيوية الرّغبة وقبول التحدّي مع وافر الإرادة والمقدرة، بلغ حالة التأهّب الذي لا عودة عنه بأيّ علّة من العلل، ممّا لا يجعل للقلق مؤثرا سالبًا.

. الاستعداد: وهو الذي يمكّن من أخذ الحيطة والحذر بتوفير ما يمكن أن يُعد ويوفّر لإنجاز الفعل أو العمل، ولكن إن لم يتمّ الاستعداد لما هو متوقّع وغير متوقّع فلا شك أن المفاجأة والاستغراب ستكونان علامات في أنفس الغافلين، وهنا تكمن العلّة.

الشّخصيَّة المتأهبة استبصارًا:

الشّخصيَّة المتأهّبة استبصارًا هي الواعيّة بما يجب والدّارية به دراية تامَّة، وهذه قيمة عالية تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو

مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرًا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصُّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو ضرورة إنسانية من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرًا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلا وإدراكا وما يستمدّه استقراءً واستنباطا: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}[7].

مضمون هذه الآيات الكريمة يتعلّق بسيدنا يونس كما يتعلّق بغيره من الأنبياء الكرام صلى الله عليهم وسلَّم، وهذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهمية الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبا من قبل يونس لقومه (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدل على تولي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبا، ثمّ جاء قوله تعالى (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالا على أهمية ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة، وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ

[7] الصافات 174 . 179.

رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[8].

وعليه لقد كان يونس بصيرا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم، ولأنّه رسول مُرسل لقد كان طائعا لأمر ربّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيا ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابيّا ليقدم عليه متأهّبا.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر، {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}[9]، أمّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينية، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}[10]، ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفية التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنا بأنَّ من ورائها خالقا عظيما يملك قوّة الخلق كلّه ويؤمن إدراكا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

---

[8] الصافات 181، 182.

[9] الأنعام 103.

[10] الغاشية، 17 . 22.

ينبغي أن لا يقف تفكير الشّخصيَّة المتأهّبة عند حدّ المشاهد، بل عليها أن تكون متهيئًا استبصارًا لمعرفة الكيفيَّة التي عليها المشاهد، لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرد، ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلا والمعجز معجزا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبا لمزيد من المعارف والعلوم: {وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}[11] الضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها، ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيء.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السّابقة يجد التاريخ مليئا بالعبر والمواعظ والحِكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[12]، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}[13].

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ، وهم كذلك متهيئون لمعرفة

---

[11] يونس 43.

[12] الأنعام 11.

[13] النمل 69.

الكيفية التي عليها المخلوقات، ومتهيئون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسّلوكيَّات التي ترتكب سواء أكانت انحرافًا أم صلاحًا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم، وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}[14]. ومع أنَّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنّ نّظر الكثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّما، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد)، ولهذا وجب التأهّب فكرا حتى تصبح الثقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرًا.

وعليه فالشّخصيَّة المتأهِّبة بصرًا وبصيرة هي التي تتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهي التي تتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّها التي تتعلّم وتعلم وتعرف وتتعرَّف، ثمَّ تقدم وتفعل؛ ولذا فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئًا ولا يتعجّب من شيء لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

[14] البقرة 69.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصلاة وقوفا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصلاة عمل يُقام به) إقامة وركوعا وسجودا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسؤولياتك؛ فالمسؤوليَّات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات تُنال.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعًا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة ألا تكون متسرّعًا.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهوّرًا.

. تأهّب لكلّ شيء هو جزاء منك، ولكن لا تبالغ.

إذن فمن هي الشّخصيَّة المتأهّبة إيجابًا؟

أقول:

هي التي تيقّنت أمرها عن بيّنة، وعرفت ما لها وما عليها، وقبلت بالتقدّم تجاه ما يجيب على تساؤلاتها وافتراضاتها وما يشبع حاجاتها أو يمكّنها من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأت إراديّا وأعدّت العدّة لذلك، ثمّ استعدّت لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما تأمل والفوز به؛ فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، وكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا يجب أن تكون الشّخصيَّة المتأهّبة متأهّبة في ذاتها ولا تنتظر من أحدٍ أن يؤهّبها؛ فالتأهّب يرتبط بنظرةٍ ومعتقدٍ وخبرةٍ ومعرفةٍ وتعلّم المتأهّب في ذاته، أمّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيًّا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارًا واحدًا، التقدّم الذي من بعده فرص التقدّم أعظم.

الشّخصيَّة المتأهّبة إرادة:

التأهَّب دائمًا لا يكون إلَّا والغاية من ورائه؛ ولهذا يعدّ التأهّب من مستلزمات الفعل مثله مثل الإرادة والتهيّؤ والاستعداد، ومن هنا فالعلاقة ذات صلة متسلسلة بداية بالإرادة التي لا شيء يتحقّق عن رغبة إلّا والإرادة من ورائه، ولا شيء يقرّ بحرية إلّا والإرادة من ورائه، ولا تأهّب لشيء برغبة إلّا والإرادة من خلفه؛ فالإرادة امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، والتأهّب برغبة هو الآخر امتلاك زمام الأمر بلا إكراه، أي لا إرادة بدون تأهّب لها، ولا تأهّب بدون إرادة من خلفه، فبهما يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونهما يُقهر، وهما معا يمكّنانه من بلوغ الفعل.

التأهّب والإرادة يمكنان من بلوغ الغايات ويحفّزان على التقدّم عن دراية مع وافر الانتباه؛ فالإرادة بدون تمكين الأفراد والجماعات من ممارستها تظل مفهوما مجرّدا ليس إلّا، ولهذا؛ فأهمية الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال، حتى يتمكّن النّاس من بلوغ ما تأهّبوا له وما يأملون، ومن ثمّ؛ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤوليَّة من يتولّى مسؤوليَّة سواء أكانت أسرية أم اجتماعية أم وطنية أم إنسانية.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، والإرادة وثيقة الصّلة بالتأهّب والوعي الذي يمكّن من تحقيقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة عن الأخذ بالبديل تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار والاعتراف والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة عن اختيار البديل لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل تحقّق له النّدم يوم لا ينفع.

فالإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما سيقدم عليه من عمل أو سلوك حيث لا إجبار من أحدٍ، ومن هنا؛ فالإرادة والتأهّب معا يمكّنان الآمل من مأموله.

ولأنّ الإرادة تمكينًا هي منبع أمل فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة فقد لا يحقّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا تتخلّى فيها الشّخصيَّة عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ فلا يترتّب عليها ندمًا، ولهذا فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي؛ والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه، وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنّ الشّعب (كلّ الشّعب) لا يوجد فيه متهيئون ولا متأهّبون ولا مؤهّلون لحمل المسؤوليَّة وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء.

فكلّ شيء يتمّ التأهّب إليه بإرادة ينجز، وتكون نتائجه مبهرة ودافعة إلى المزيد، فالتأهّب لا يبلغ حدّه إلّا والإرادة حيويّته.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والتأهّب والاختيار والرّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب لتكون السُبل ممهّدة تجاه الغايات المراد الوقوف عند أعتابها بحيويّة التأهّب وإرادة المتأهّبين.

فالوقوف عند أعتاب الفعل لا يمكن أن يتحقّق بدون تأهّب إرادي، ولكن هذا الوقوف المستهدف بالإرادة والتأهّب هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للجهد الذي سيبذل خلال الزّمن المتوقّع

للإقدام أو الإنجاز. وعند إقدام المتأهّب على الفعل وإنجازه ينبغي أن يتمّ من بعده تقييم إرادي للجهد الذي بذل، لمعرفة مدى تطابق الخطة مع التنفيذ؛ فالتقييم هنا يفيد في رسم الخطط المترتّبة على إنجاز الفعل الذي تمّ التأهّب إليه إراديًا، حتى تمّ بلوغه بسلام أو بعد شيء من الصعوبات التي غُفل عنها في تلك الخطّة التي تمّ تنفيذها[15].

ولهذا فالإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرّغبة تجاه كلَّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، وكذلك التأهّب كونه حيوية تحرّك النفس تجاه المرغوب سيكون مرتبطا بالإرادة واختياراتها الحرّة، فالإرادة وثيقة الصلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ وأثرت في الرّغبة حتى حفّزها على الدفع تجاه التأهّب إلى العمل.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة؛ فهي المعبّر عن الحقيقة ولو تمَّ إنكارها عن غير تهيؤ وبعد تأهّب.

[15] عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، ص 178 . 180

وعليه: ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعى الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِما يتهيأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النّاس إليها، وهي لا تتحقّق إلّا بعد تأهّب لعمل رفيع، وفي المقابل من يتأهّب لإهانة الآخرين لا يمكن أن يبلغ مكانة، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانا بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها، والتأهّب بها إلى أعمال الخير، ومن يتأهّب إلى القيام بإعمال الخير ويحفّز الغير عليها ستكون له مكانة بين الخيرين.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفردية هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيات الآخرين دون اختلاف وإن كانت هناك تنوّعات وتأهبات مختلفة.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيَّات واختصاصات تشريعيّة وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيَّة متّفق

عليها بمقاييس الجودة، وهي التي لها من المتأهّبين ما لها. لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤوليَّة، والمسؤوليَّة لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة والتأهّب قد لا يحقِّق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من تأهّب وأقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

ولذا فمن يتأهّب لمواجهتك عن إرادة؛ فعليك أنْ لا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة والتأهّب مسألة ليست بالهينة؛ فالإرادة والتأهّب بينهما مسافة لا ينبغي إغفالها؛ إنّها المسافة المملوءة استعدادا وعدّة[16].

[16] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 . 43.

علاقة التأهّب بالتهيّؤ:

التهيّؤ إثارة النّفس والالتفات إليها لتنهض ممّا هي فيه، وهو مرحلة ما قبل النّهوض، أمّا التأهّب فهو الإنذار بالنّهوض؛ فالتأهّب فطنة، وحسابات عقلية وبصرية مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فالتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

ولهذا لا إمكانيَّة لفصل التهيّؤ عن التأهّب إذا أردنا نيل المأمول؛ ذلك لأنَّ التهيّؤ يتجاوز دائرة التفكير والتخطيط إلى دائرة الاستعداد ثمّ إلى التأهّب الذي لا يمكن ظهوره إن لم يكن التهيّؤ من ورائه حيوية وإرادة واستعدادا.

فالتهيّؤ منبع الفطنة، أمّا التأهّب فهو الفطنة في ذاتها، وهو منبع أمل كونه الممكّن من دخول الفعل والإقدام على العمل؛ فالتأهبّ قيمة تلفت المتأهّب لما يجب الالتفات إليه؛ حيث لا حيّز في ذّهنه للغفلة أو الانفلات.

ولكلٍّ من التهيّؤ والتأهُّب مفهوم ودلالة وفقًا للآتي:

. عندما يكون التهيّؤ تفكيرًا فيما يجب يصبح التأهّب الانتباه لِما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ تخمينًا تجاه ما يجب، يصبح التأهّب الدّراية بما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ حيرة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب اليقظة حول ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ التفات تجاه ما يجب، يصبح التأهّب إقداما على ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ غموض تجاه ما يجب، يصبح التأهّب الوضوح تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ شكّا فيما يجب، يصبح التأهّب التيقُّن بما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ محاولة للمشاركة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب بلوغ فرصة للمشاركة فيما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ اندفاعا تجاه ما يجب، يصبح التأهّب وعيا بما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ حيويّة تجاه يجب، يصبح التأهّب هو السّلوك تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ تردّدا تجاه ما يجب، يصبح التأهّب الإصرار على ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ رغبة تجاه ما يجب، يصبح التأهّب واجبا تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ محاولة وخطأ تجاه ما يجب، يصبح التأهّب قرارا معتمدا تنفيذه تجاه ما يجب.

. عندما يكون التهيّؤ تحديد أهداف يمكن أن تصاغ لها خطّة، يصبح التأهّب خططا متكاملة.

ولهذا وجب إظهار القوّة عُدّة وعتادًا وفرسانًا وخيلًا وتنظيمًا واستعدادًا بما أنّكم قد تهيأتم وتأهّبتم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) أي يجب إظهار القوّة، لتكون رسالة ذات مضمون مفاده (لقد أعددنا العُدّة، وامتلكنا القوّة، ونحن الآن مستعدّون عن إرادة، ومتأهبون لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنَّنا لا نرغب قتالكم ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر) فإن سالمتم فنحن أهل السّلم، وإن اعتديتم علينا فليس لنا إلّا الاعتداء عليكم مثلما اعتديتم علينا، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[17].

إذن التأهّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعدّ هيّنا؛ فخذوا حذركم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[18] أي تيقّظوا وانتبهوا واحترزوا

[17] البقرة 194.

[18] النساء 71.

العدوَّ كي لا ينال منكم شيئا؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدر بكم أو يتمَّ الاعتداء عليكم ظلما؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جدّية؛ فالأمر لم يعد هيِّنا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ سيأخذه مأخذ الجدّ أيضا، وإن أخذه مأخذ الجدِّ جعل لكم اعتبارا يجعله جانحا للسّلم الذي يستوجب الجنوح إليه تحدّيا لا استسلاما (قوّة لا ضعفا).

وعليه: في الوقت الذي يكون فيه التهيّؤ منبع فطنة، يكون فيه التأهّب منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيوية التهيّؤ؛ ولذا لا يمكن أن يكون المتأهب متأهبا ما لم يكن قد تهيأ لما تأهّب له.

علاقة التأهّب بالاستعداد:

التأهّب قوّة انتباه مع وافر الاستعداد والعدّة؛ ممّا يجعله حيويّة تسري في العقل البشري فتثيره تحفّزًا ينتج مأمولا يستوجب الاستعداد قدرة وإمكانية، مع خطّة ترسم وفقا لأهداف قابلة للإنجاز، ومن هنا يصبح المأمول نصب الأعين حتى يُنال.

ولهذا لا استعداد إلّا والتأهّب من ورائه، ولا استعداد إلّا والجهد يبذل وهذا الأمر يجعل التأهّب والاستعداد معا مندمجين قوّة وترتيبها وتصنيفها من أجل الفعل أو العمل أو المأمول نيله، والاستعداد لو لم يلحق به تأهّب

لا يزيد على كونه إمكانات وخططا وبرامج نظرية؛ ولذلك فهو الضرورة التي تسبق أيّ عمل أو فعل، وبدون التأهّب والاستعداد معا لا تُبلغ الآمال، ولهذا عندما يكون التهيّؤ منبع أمل لفعل يُفعل، أو هدف ينجز، أو غاية تبلغ؛ فالاستعداد لا يكون إلّا عن دراية لما يجب، وهو أخذ الحيطة من الفشل، وتجنب الوقوع في السُفليّة، وهو لا يكون إلّا والتأهّب من ورائه وقوفا على أعتاب المستهدف أو المأمول.

فالاستعداد مرحلة ما بعد التهيّؤ عن إرادة، وهو لا يكون إلّا مرحلة لاحقة لهما ومعتمدة عليهما؛ فالاستعداد تجميع للقوّة المِمكِّنة من تنفيذ الفعل مع تأهّب وهو مجموع القوّة الممكّنة من التقدّم بعد أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلّا من أجل أهداف يُراد لها أن تنجز بما أُسِّست عليه من تهيّؤ وإرادة، وبما تمّ إعداده والاستعداد به ليكون تحت أمر المتأهّبين وبين أيديهم.

فالتأهّب استمداد للقوّة المعنوية والمادّية من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظّرف الزّماني والمكاني والتوقيت المناسب.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والتأهّب والفعل، فلا يقدِم على الفعل ويحقّق النّجاح أو الفوز إلّا المستعدّ المتأهّب بإعدادٍ جيدٍ؛ فإذا كان الهدف دخول الامتحان وتجاوزه بنجاح، فلابدّ من الاستعداد والتأهّب له قبل أن يأتي، أي: يجب القراءة والمراجعة والتعرّف على الممكن المتاح حتى لا تحدث

المفاجأة يوم الامتحان. وهكذا إذا كان المستعدّ المتأهّب مستهدفا خوض حرب فلابدّ من إعداد العدّة بعد التهيّؤ النفسي والبدني والمعلوماتي والتدريب والتأهيل ورسم الخطط الرئيسة والبديلة، وكلّ ما من شأنه أن يفاجئ الخصم ويقلل الخسائر وفي المقابل يحقّق النصر.

المستويات القيميَّة للتأهّب

التأهّبُ الذَّاتي:

التأهّب الذّاتي هو نتاج استجماع القوّة الاجتماعيَّة أو الوطنيَّة في شّخصيّة الفرد الذي تكونت شخصيّته من تلك القيم المرغوبة عند المجتمع وذلك الدّين الذي يعتقده؛ ولهذا فالشّخصيَّة الذاتيَّة لا تتأهّب لشيء إلّا بحيويّة تلك القيم والفضائل والأعراف التي تدفعها إلى الإقدام على ما يجب.

ولذلك فالتأهّب الذَّاتي هو نتاج التربية الاجتماعيَّة أو الوطنيَّة التي عندما تترسّخ في عقول الأفراد ترتقي إلى مستوى الاعتقاد الذي يجعل أيّ مساس بالمجتمع هو مساسًا بشخصيّة الفرد، وهنا يرى الفرد نفسه وكأنّه المجتمع بأسره، ومن ثمّ فالتأهب هو تأهّب تربية وإعداد يُمكّن الفرد من التعصّب للمنتمي إليه أكثر من أخذه أو ميله إلى الأخذ بما حقّ وعدل.

إذن: التأهّب الذاتي لا يخرج عن كونه درجة عالية من الانتباه لما يجب تجاه المكوّن الاجتماعي (الذَّات العامّة للشّعب) التي من أجلها المواطن يعمل ويُصلح ويشهد الحقّ ويقوله ويعمل من أجل إحقاقه، ولكن بمقارنة ما يجب تجاه الشّعب الذي ينتمي المواطن إليه مع ما يجب تجاه الآخرين لا مقارنة. حيث ظهور الانحياز لأبناء الوطن أو بعض منهم ضدّ الآخرين وإنْ مال الحقّ إليهم.

ولهذا تتأهّب الشّخصيَّة للتمسّك بالمكوّن الذاتي تجاه وطنها؛ فتضحي من أجله، وتحرص على تقدّمه، وتعدّ العُدّة لترهب بها من أعدّ لها عُدّة، وتقبل الموت في سبيل تحريره إنْ تعرّض إلى احتلال من عدوٍ، ولكن الذي يتأهّب لكلّ شيء من أجل وطنه حتى وإن كان قرار وطنه غير منصف لا يمكن له أن يتأهّب لأوطان الآخرين وأن كان الخلاف معهم ظالما، ومن ثمّ فإنّ خوفه على وطنه لا يرتقي شعورًا متساويًا تجاه أوطان الآخرين، ممّا يجعله على غير موضوعيَّة فيما يقوله ويفعله تجاه الغير.

وهنا يتّضح المستوى القيمي للتأهّب بأنّه لم يتجاوز المستوى القيمي للذات (المتكونة من قيم المجتمع وأعرافه وأماله وآلامه).

الذاتيَّة مستوى معرفي إدراكي؛ فالذات المدركة هي التي تعرف أنّها تعرف أنَّ التمركز على معرفة الذّات لذاتها يؤدّي إلى تمركز المعرفة على ما يجب وما لا يجب اجتماعيّا، ولكن ليس دائما كلّ ما يجب على المستوى الاجتماعي هو ما يجب على المستوى الأخلاقي والإنساني؛ فللعصبيّة دورها الانحيازي في بعض الأحيان خاصّة عندما تخاف الآخر. ومثل هذه التربية لا شكّ أنّها ستهيئ وتؤهّب الأجيال على العصبية وليس على الحقّ ووجوب إحقاقه. وبالتّالي فالمكوّن الذاتي بالنّسبة للمجتمع الذي تنتمي إليه الذّات لا يتعارض مع ما ترغبه العصبيّة أو تُفضّله.

وعليه: تتكون ذات الإنسان من قيم المجتمع، من أوامره ونواهيه، ممّا يحب وممّا يكره، فتتوحّد آمال المجتمع وآلامه ودينه في الفرد إلى درجة

تتساوى عنده كفتا الحياة والموت من أجل مجتمعه أو وطنه أو أمّته؛ ومن ثمّ يكون متأهّبا لذلك وكأنّه مجتمع بأسره، أو أمّة بكاملها نتيجة بناء شخصيّته على ما تشرّبته من قيم وأخلاق ونظم وأعراف وعادات وفضائل وتشريعات اجتماعيّة؛ فيصبح لسانه لسان حالها وسلوكه سلوكها، وفعله من الأفعال التي ترتضيها.

ويعدّ التأهّب الذاتي مكوّنًا قيميًّا اجتماعيًّا على مستوى الخصوصيَّة وليس مكونا فرديّا، فعندما تتجسّد الذات في السّلوك، لن تجد الأنانيَّة (الشّخصانيَّة) مكانًا لها بين النّاس، وعندما تتكوّن في الإنسان بأماني المجتمع تزيل عنه الأنانيَّة وتغرس فيه الأمّة بقيمها، أو الوطن بكامله، ولهذا يكون الفرد وكأنّه أمّة بحالها، وتكون الأمّة وكأنّها الفرد بحاله، وليس بشخصانيّته.

وعندما يتأهّب الفرد لممارسة السّلوك الاجتماعي وفقًا لمرضيات العقل الجمعي، ينال التقدير والاعتراف والاحترام من قبل أفراد المجتمع، ما يجعل الاتصاف بالذاتيَّة على المستوى الاجتماعي لا يُعدُّ عيبا كما يعتقد البعض من الباحثين، بل إنّه دال على أهمية التفاعل الاجتماعي في خلق الشّخصيَّة المعتدلة بيئيّا.

ولسائلٍ أن يسأل:

. ما العيب في أن يتمسّك الفرد بقيمه ودينه؟

لا عيب في ذلك، بل العيب إنْ كان فيهما عيب أن يتّخذهما قيما ويرتضيهما دينا.

إذن: لا يمكن أن يكون الإنسان ذاتيًّا ما لم تتجسّد قيم المجتمع في أفعاله وسلوكه، فالذاتيَّة يمكن أن تكون على مستوى الفرد، ويمكن أن تكون على مستوى الجماعة، ويمكن أن تكون على مستوى المجتمع بأسره.

وعليه فإنَّ الذاتيَّة تحتوي عناصر القوّة والضّعف، وقد يتمّ التمسّك بها كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، وقد يتمّ تجاوزها إلى ما هو أفضل، وفي هذه الحالة يحدث التغيّر إلى ما هو أفضل على المستوى الإنساني، وتصبح الحالة التي كانت عليها حالة الفرد أو الجماعة أو المجتمع متأهّبة للميل إلى ما هو أفضل (التطلُّعيَّة) التي تحتكم بكلّ ما هو منطقي.

وفي مقابل ذلك قد يلاحظ أنَّ البعض غير قادر على المحافظة على الذاتيَّة، وفي الوقت ذاته غير متأهّب للميل إلى الموضوعيَّة (التطلُّعيَّة)، ولكنّه متأهّب إلى الميل إلى الفعل الإنسحابي.

ويعدّ التأهّب الذاتي نقطة الاعتدال والاتزان الاجتماعي والانفعالي والنّفسي، وهو مجال وعي الإنسان بإمكانياته في ضوء إمكانيات الآخرين والتصرّف وفقا لهذا الوعي في حدود ما يجب وما لا يجب؛ فالذات هي مجال لامتداد الشّعور الاجتماعي، وعندما تلتزم الشّخصيَّة بأوامر المجتمع ونواهيه تصبح شخصية متّسقة، حيث تتّسق فيها الأنا مع نظم المجتمع ومعاييره وقيمه المعتمدة بإرادة، وعندما تشكّل قيم المجتمع الإطار المرجعي

للإنسان، تسلك الشّخصيَّة سلوكا ذاتيا؛ وتتأهّب لما يمكّنها من تجسيده في الفعل والسّلوك؛ فتوصف بالذاتيَّة، وعندما لا تلتزم بهذا السّلوك وتبتعد عنه متهيئة للسّلوك الإنسحابي، تُقيّم الشّخصيَّة في هذه الحالة على أنّها إنسحابيَّة، وإذا لم يتوقّف تأهّبها عند نقطة معينة، لابدَّ أن تصل إلى مستوى أقل أو حالة أقل توصف بأنّها حالة أنانية. وهي التي لا تكون إلّا بقبول الأمر الواقع وإن كانت نتائجه سلبيَّة، ولا خروج من الأنانيَّة إلّا باستشعار الأنا للخوف من مخاطر الآخرين؛ فعندما تسود معايير الأنانيَّة تسود الشّخصانيَّة، وعندما تسود معايير الذّات تسود الذاتيَّة، وهكذا عندما تسود المعايير الإنسحابيَّة والمعايير المنطقيَّة والموضوعيَّة تسود بالضّرورة الشخصيَّات المماثلة لها؛ ولهذا تعدّ الذاتيَّة شعرة توازن كفتي الميزان الاجتماعي، فعندما يكون الضّمير هو المعيار العام لأفراد المجتمع، يصبح الإطار المرجعي لهم هو الموروث المشترك بينهم بإرادة، وتصبح الذاتيَّة هي نقطة تمركز الفكرة، وعندما تميل عن نقطة التمركز هذه لابدَّ أن تميل إلى ما هو سالب في حالة تغلّب النّفس الإنسحابيَّة، أو تميل إلى الموجب في حالة الاعتماد على الأحكام المنطقيَّة التي يتمّ فيها الاستماع للآخر وأخذ رأيه فيما يتعلّق بالأمر المشترك.

فالذاتيَّة بما يملؤها من خوف تستطيع أن تجسّد سلوكا للموروث الاجتماعي الفكري والثقافي، وكلّ شيء بالنّسبة لها على المستوى الذاتي

قابل للنقاش والحوار والموافقة وعدم الموافقة، شريطة ألا يتعارض مع الإطار المرجعي للمجتمع المحقّق للاعتبار الفردي والجماعي والجمعي.

فالذات مكوّن علائقي بين الأنا وغاياته وآماله وبين المجتمع وأعرافه ومعتقداته وأنساقه القيميَّة، ولهذا لا تعدّ الذات من مواليد الطبيعة؛ فهي مجال الحركة والامتداد السّلوكي لكلِّ خصوصية اجتماعية. فأنا (i) كفرد وأنا كوطن وأنا كدين وعرف تجعل لي ضمير المتكلم (me)، ولا قيم لأنا إلّا بالمعنى المصاحب الذي يميّزني عن أنت ويميّزنا عن الآخر (هم)؛ فعندما يتوحّد الموضوع في (أنا وأنت وهم)، يصبح حال الجميع على الضّمير (نحن) اللّسان واحد والقضية واحدة والعرف والتقاليد (هي هي) ممّا يجعل الكلّ من حقّه أن يقول في الوقت الواحد (أنا) ويقول (نحن)، نحن الشّركاء، وأنا الشّريك، وأنت شريكي. إنّها المكونات الذاتيَّة التي جعلت بين الجميع الضمير الاعترافي (نحن) بإرادة، وعندما يحيد أحدٌ عن (نحن) الضمير المشترك بإرادة يحدث الانحياز والتأهّب للميل السّالب أو الميل الموجب، وذلك حسب الموضوع المنحرف عنه والموضوع المنحرف إليه؛ فإذا كان الميل من موضوع موجب إلى موضوع آخر موجب يعدّ الميل أو الانحراف موجبا وفقا لدرجة التأهّب ومستواه القيمي (ميلا منطقيّا) وتعدُّ الحالة (متطلّعة)، وإذا كان الميل من موضوع موجب إلى موضوع أكثر إيجابية يكون الميل والانحراف موجبا وتوصف الحالة (الموضوعيَّة) التي تمّ بلوغ مستواها القيمي بأسباب التأهّب التام لبلوغ الموضوعيَّة. أمَّا إذا تأهّب الفرد

للميل من موضوع موجب إلى آخر سالبٍ؛ فإنَّ هذا الميل يُعدُّ سالبا وتوصف الحالة بالإنسحابيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة)، وإذا كان الميل أو الانحراف من الحالة الإنسحابيَّة إلى الحالة الشّخصانيَّة؛ فإنَّ هذا السّلوك يجعل الحالة أو الشّخصيَّة في المستوى الأدنى (مستوى الأنانيَّة) التي لو كان لها من التأهّب لكانت في غير ما هي عليه من شخصانية.

التأهّب التطلّعي:

التأهُّب قيمة ولا يكون إلَّا من أجل مستقبل وعن غاية من ورائها مأمول يرجى نيله، ولهذا فالتأهّب قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى؛ وإذا لم يتأهّب الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع تأهّبا لما هو مأمول ويسعى إليه عملا يبلغه غاية، وهنا يعدّ التأهّب التطلّعي مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيات التي تميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذات في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحُقق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلُّعيَّة تُعدّ منطقةً وسطًا بين الذاتيَّة والموضوعيَّة، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذاتيَّة) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)،

ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، ممّا جعله قاطعا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم[19].

وعندما تقتصر رؤى الشّخصيَّة على مكّوِّنات الذّات القيميَّة، توصف بالذاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشّخصيَّة في هذه الحالة بأنّها منطقية أو تطلّعية، حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقّع أو مفترض.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشّخصيَّة المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن يتأهّب له تطلعا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقّعة؛ ذلك لأنَّ المتوقّع المتطلّع إليه تأهّبا بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النفي، ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشّخصيَّة أو فعلتْ أو حكمتْ وفقا لافتراضاتها؛ فقد تفعل أو تسلك خطأ، ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ.

وعليه فالإنسان المتطلّع تأهّبا للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي أنّه في حالة النُقلة، من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائما على تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات

[19] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

والأفكار الإنسانيَّة الأخرى، وفي الوقت ذاته لا يُفرِّط في خصوصيّته الذاتيَّة التي جعلت له تاريخا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيميَّة.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذوقية بالخوف تتهذّب تدبرا وتطلّعا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم.

إذن: التطلُّعيَّة تأهّبا هي الشّخصيَّة التوافقيّة، التي تستوعب قيم وفضائل (الذاتيَّة) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة، وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤوليَّة على مستوى الذات ومستوى الآخر، وعندما تتأهّب الشّخصيَّة لتجسيد هذا المفهوم التطلعي توصف بأنّها متطلعة ومستواها الفكري هو على المنطقيَّة.

ولذا فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجالا جديدا للعقل والنفس وتتأهّب منطقا بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التأهّب والتطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصية، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه. وهذا لا يعني أنَّ كلّ تأهّب وكل ميل هو موجب، فعندما تتأهّب الشّخصيَّة وتميل من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيميَّة تصبح الشّخصيَّة على حالة من الإنسحابيَّة؛

فتوصف في هذه الحالة بالشّخصيَّة الإنسحابيَّة التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلُّعيَّة تأهّبا هي مرحلة من الوعي يُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلُّعيَّة هي حالة تأهّب ووعي بالمحيط المعرفي والثَّقافي والحضاري، فهي تُعدّ مرحلة نضج، به تتمكّن الشّخصيَّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذاتيَّة) هي ما يدور من حوار بين الرغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات، في حدود الدّين والعرف والقيم السائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلُّعيَّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوقا وواجبات ومسؤوليات ينبغي أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة، ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو إغفالها، كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيميَّة للشخصيَّة المتأهّبة أقول:

1 ـ الأنانيَّة: معيارها الشّخصانيَّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الإنسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا..).

3 ـ الذاتيَّة: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 ـ التطلُّعيَّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن معا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتأهّب للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعيَّة التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعدّ ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعيَّة، وتُعد معاييره إنسانية. ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تتأهّب الشّخصيَّة وتميل إلى الموضوعيَّة فتوصف بالتطلُّعيَّة، وعندما تتأهّب وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانيَّة.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، فإنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الأخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشّخصيَّة المؤثرة، هي الشّخصيَّة المنطقيَّة التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما

تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[20].

وهنا فالشّخصيَّة المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، بل تمتدّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتأهّب للمغالبة وتميل إليها.

التأهّب الإنسحابي:

التأهّب الإنسحابي قرار مبدئي للتخلّي عمّا كان متمسكا به، أو سحب الثّقة من ذلك المتمسك به أو المعتقد فيه؛ فيصبح الانسحاب شيئا فشيئا بمزيد من التنازلات، أي بعد تلك المدافعات والمرافعات عمّا كان مبدأ أو قيمة أو معتقدا أصبح التخلي عنها في حالة تتابع وكأنّها مسبحة وقد انقطع الخيط الذي كان بنظمها.

ومع أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه وذاتي بالضّرورة، فإنّ هذه الضرورة قد يتمّ التخلي عنها والانسحاب عمّا تدعو إليه كلّما مرّت الشّخصيَّة بمواقف تفقدها ثباتها وصمودها، وعندما تحيد الشّخصيَّة عن مستواها الذاتي؛ فحيادها لا يلغي أنَّها اجتماعية الطبع والتطبُّع، ولكن تأهّب الفرد للشيء يجعل الشيء أمرا واقعا. فإن تأهّب للتطلّع تطلّع إليه، وإن تأهّب للموضوعيَّة والارتقاء علما ومعرفة وإيمانا وثقة أصبح موضوعيّا، وهكذا أن استمرت الشّخصيَّة المنسحبة في انسحابها من قيم الذاتيَّة الاجتماعيَّة ستصل في النهاية إلى المستوى الأناني ممّا يجعلها مندرجة تحت الشّخصيَّة

[20] سورة الحشر، الآية 9.

الأنانيَّة التي تعتقد أنّها مركز العالم في الوقت الذي هي فيه سلبيَّة حيث لا تفاعل ولا تطلّع لما يجب التطلّع إليه، مع وافر ما تسلكه من سلوكٍ سالبٍ تجاه القضايا والمواقف والمواضيع التي ينبغي أن يكون لها دور متفاعل تجاهها.

فالذات باعتبارها مكوّنا قيميا ومركزا لاندماج المشاعر والعواطف على المستوى الاجتماعي، تشكّل رقيبا على الأنا وأطماعها الشّخصانيَّة، وتكوّن قاعدة عريضة لأفرادها وجماعاتها المتهيئين للتطلِّع تجاه كلّ ما من شأنه أن يحقّق لهم مستقبلا أفضل. ولهذا توقُّعات الذات من أفرادها وجماعاتها هي دائما أن يكونوا مثالا اجتماعيا يصبو لما هو أفضل، ولكن هذا التوقّع أو ذلك الافتراض، لن يتحقّق دائمًا، بل في بعض الأحيان والظروف يتحقّق ما هو أدنى أو أقل من المتوقّع. وعندما يسلك الفرد سلوكا أدنى أو أقل قيميّا ممّا ينبغي، أو أن يتخلّى عن أداء المهام والمواقف أو ينسحب من ميادين أدائها، في هذه الحالة يوصف بالإنسحابي (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة).

إذا على المستوى الذاتي يتوقّع المجتمع من أفراده الالتزام بأوامره ونواهيه، ويتوقّع منهم أيضا أن تكون شخصياتهم تطلُّعية، وفي الوقت ذاته يودُّ أن يكونوا حريصين على التمسُّك بذات المجتمع التي تميزهم عن غيرهم، وتحافظ على هويّتهم، ولكن لا يودّ لهم التقدّم بدون تأهّب، ذلك لتوقّعه أنَّ التقدّم دون تأهّب هو الذي سينهي خصوصيَّاتهم العقائديَّة والثَّقافيَّة

والقيميَّة، ولا يودّ لهم الانسحاب جبنا من ميادين إثبات الهويّة، إنّه لا يقبل التخلي عن الذات ولا يسمح لأحدٍ من أفراده بالتفريط فيها، ومن يسلك أو يفعل ذلك توصف شخصيته بأنَّها شخصية إنسحابيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة).

إنَّ تأهّب الشّخصيَّة للميل عن التمركز على الذات إلى الاستحسان فيما تودُّ أن تَقدِم عليه بشخصانيّة، أو ترغب في فعله والقيام به، يجعلها في حالة مراجعة لِما كانت تؤمن أو فيما كانت تعتقد، وعندما تصحو من غفلتها، تتطلّع، وعندما تتعمّق في غفلتها تستجبن وتنطوي وتتراجع إلى ما هو أدنى بالمنظور الذّاتي، ولكنّه قد لا يكون أدنى بالمنظور الشخصاني Personalism، فالشّخصانيَّة يتمركز تفكيرها على ما يُفيد أنا، دون وضع أهميّة للآخرين، أي المهم أنا. والأنا هي المتجرِّدة من عاطفة الانتماء الاجتماعي الذي يُبرز أهمية الذّات على أهمية الأنا. أمّا عندما تصبح الشّخصيَّة في حالة ميل من الذاتيَّة إلى الإنسحابيَّة؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّ الشّخصيَّة لم تتخلَّ عن كافة مكونات ذاتها، بل إنّها أصبحت متأهّبة للتخلّي عن شيء منها، والذي يجعلها في حالة مغالبة هو تفضيلات الأنا على تفضيلات الذّات الاجتماعيَّة، وهذا الأمر يؤدّي بالضّرورة إلى مغالبة معايير الأنا ورؤاها على معايير الذّات ورؤاها.

والفرق بين الشّخصيَّة الإنسحابيَّة والشّخصيَّة المتطلِّعة هو أنَّ الإنسحابيَّة متأهّبة للميل إلى الاتجاهات ذات المردود (السّالب) بمعايير

الذاتيَّة الاجتماعيَّة، أمّا الشّخصيَّة المتطلِّعة فهي المتهيئة إلى الاتجاهات ذات المردود (الموجب)، وهذا لا يعني أنَّ كلّ انسحاب هو ذو مردود سالب، ولا كلّ تطلّع هو ذو مردود موجب، فعندما تنسحب الشّخصيَّة من القيام بالأفعال المؤذية والمؤلمة خوفًا، فإنَّ ذلك الانسحاب يعدّ انسحابًا موجبًا، وعندما تتطلّع إلى ما هو مؤلم وضار؛ فإنَّ تطلّعها هذا يعدّ تطلُّعا سالبًا، وتوصف هذه الشّخصيَّة بالشّخصيَّة السّالبة أو الإنسحابيَّة؛ حيث انسحابها من ميادين العمل الموجب وميلها إلى ميادين العمل السّالب الذي فيه من الآلام ما فيه.

وتُعدّ الإنسحابيَّة مكوّنًا من مكوّنات الشّخصيَّة القابلة للانحراف والهدم السّلوكي، وليس مكوّنا بنائيّا؛ فالشّخصيَّة التي ترتكب أو تسلك الأفعال غير المقبولة أو غير المفضّلة اجتماعيّا ثمَّ تكفّر عن ذاتها، وتعود مرّة ثانية، وتندم بين الحين والحين، ثمّ تعود إلى ما فعلت، وهكذا، تُعدّ هذه الشّخصيَّة متردِّدة ومتبدِّلة؛ لمغالبتها القيم المتبدّلة على القيم الثابتة المفضّلة. وعندما يصل الحال بالشّخصيَّة إلى أن تقطع كلّ علاقتها مع كلِّ موجب، ومع كلّ ما بني على القيّم الضميرية أخلاقا؛ فإنّها لن تتوقّف عن انسحابها إلى أن تصل إلى حالة الانطباع بالخصائص الأنانيَّة والأفعال الشّخصانيَّة، وفقًا لخماسي عقيل لتحليل القيم[21].

[21] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.

إذن: تأهّب الشّخصيَّات أو الأفراد للشيء سواء أكان موجبًا أم سالبًا يجعل من شخصيَّاتهم بين الإيجاب والسّلب، ممّا يجعل لكلّ منهما بدايات معلومة ونهايات غير معروفة، قد تصل فيه حالة الشّخصيَّة المنسحبة من فضائل المجتمع الخيّرة وقيمه الحميدة إلى درجة من التوتّر الذي يؤدّي بها إلى فعل السوء لمن يتعارض مع مصالحها أو تعتقد أنّه يشكّل خطرا عليها أو على ما تسوّله النفس وتعتبره منافع لا ينبغي لغيرها أن يشاركها فيها: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}[22]. النفس الأمارة بالسّوء هي النفس المائلة للشهوات، والمبتعدة عن الأفعال المنطقيَّة والأخلاقيّة التي تجعل الإنسان في حالة وعي وتمييز متّزن بين ما يجب وما لا يجب.

وعندما يحدث التحلّل من العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة الضابطة للسّلوك، سواء أكان هذا التحلُّل على مستوى الأسرة أم الجماعة أم المجتمع بكامله، تحدث الانحرافات والميول التي تُغيّر سلوكيات وأفعال الأفراد من مكانة اجتماعية إلى مكانة أخرى، ومن موقف إلى موقف، مع اختلاف درجة تأثيرها من شخص إلى شخص آخر. وفي مثل هذا الأمر نجد الشّخصيَّة الإنسحابيَّة المتردّدة، أو المتطرّفة والمنفعيّة، والمصلحيّة الخانعة، ومسلوبة الإرادة وغير المبالية؛ فكلُّ هذه الصّفات تحتويها صفة الشّخصيَّة الإنسحابيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة)، التي تنمو فيها مغالبة الرّغبات والشّهوات الخاصّة على الرّغبات والضوابط العامّة، فتميل إلى ما تأهّبت

[22] سورة يوسف، الآية 53.

إليه من سلوكٍ متعارض مع القيم الحميدة والمعارف الضميرية، فتُقبِل على المطالبة بالحقوق والابتعاد عن أداء الواجبات وتجنّب حمْل المسؤوليات؛ ذلك لأنّها شخصيّة انسحابيه.

ولأنَّ الإنسحابيَّة مرحلة يملؤها الخوف بين إرادة سلبيَّة، وبين كرهٍ كما هو في مرحلة اليأس التي هي مرحلة عمرية نفسية ضعفا ووهنا؛ فهي عندما تسود يسود الوهن في العقل والجسم والقدرة والاستعداد؛ فيحدث الانسحاب، ويسود النفس في بعض الأحيان التردّد، أو التخلي عن أداء ما ينبغي أن يؤدّى بين الناس قيما حميدة وفضائل خيّرة.

وحالة اليأس هذه لا تقتصر دائما على المرحلة المتقدّمة عمريّا، بل في بعض الأحيان تسود الشّخصيَّة الإنسحابيَّة وهي في ربيع العمر عندما تستسلم للأمر الواقع، نتيجة الضّعف الذي يلمّ بها، وهو في كثير من الأحيان تسبّبه الحاجة، أو الرّغبة فيما لا يجب، أو الجبن أثناء المواجهة من عواقب الأمور، وهذه من مبرّرات النّفس اليائسة القانطة من رحمة الله، أمّا النّفس التي لا تيأس ولا تقنط من رحمته فهي التي دائما يراودها الأمل، ولذا نراها متأهّبة للجد والاجتهاد فتسعى حتى بلوغ الأمل الذي جعل منها شخصية متأهّبة متطلِّعة تمتلك الحُجّة والمنطق المحقّق لإحداث النُقلة إلى ما هو أفضل وأعظم.

وعليه فإنَّ التأهّب للانسحاب هو نتاج مقارنة عقلية بين ما يعانيه الفرد من ضغوط الحاجة أو الثقافة أو السياسة، وبين ما هو عليه من

إمكانات سواء أكانت مادية أم معنوية، ممّا يجعل الانسحاب يحتاج إلى وقت كافٍ لذلك؛ فالانسحاب لم يكن قرارا قابلا لأن ينفّذ في ساعة واحدة، بل هو مولود المعاناة والضغوط النفسية والمادية والسياسيَّة على شخصية الإنسان الذي من وجهة نظره لا يرى شيئا ينقذه من هذه التأزّمات إلّا الانسحاب مما هو فيه أو ممّا هو عليه. ولذلك فتحقيق الشّخصيَّة الإنسحابيَّة يحتاج إلى:

. زمن الاستيعاب: الفترة التي تُمكِّن المنسحب من استيعاب المتغيرات والمبررات الجديدة.

. زمن الانفكاك النسبي: الفترة التي تُمكّن المنسحب من التخلُّص من الارتباطات القيميَّة السابقة، والعلائق التي انتظمت على مستوى الذات.

. زمن الارتباط: الفترة التي يكوِّن فيها المنسحب علائق جديدة مع الوسط القيمي الجديد.

. زمن الفعل: فترة التبدُّل التي تُمكّن المنسحب من الإقدام على الأفعال التي كانت محرّمة أو محذوفة من قاموسه القيمي.

. زمن العادة: فترة التكرار السّلوكي مع الدّيمومة بما يشكِّل الخصوصية الجديدة والسّلوك الجديد.

ومن هنا لا يمكن أن يتمَّ التغيُّر نُقلة واحدة من التمركز على الأنا أو الذات أو الموضوع، بل لابدَّ من مسافة تسمح بالامتدادّ للممتدّ وتسمح

بالانكماش للمنكمش، وكذلك لابدَّ من زمن لكلّ امتداد أو انكماش. ولا يمكن أن تكون الذات مكوّنا مستقلا عن الأنا أو الموضوع، ولا يمكن أن تتجرّد من الميلان إلى الموجب أو السّالب، ولكن كلٌّ حسب الظّرف والموضوع والمتغيرات المدخلة أو المخرجة.

ولذا عندما ينسحب الفرد من موقف لموقف، أو من موضوع لموضوع؛ فهو بالضّرورة يضع نفسه في مكان التخلّي عن موقف أو موضوع ما والتأهّب لموضعٍ آخر يجد نفسه منحازا إليه، وهذا لا يعني أنّ كلّ انحياز هو ذو عائدٍ سالبٍ، بل هناك من الانحيازيات ما هو ذو مردود موجب، كالانحياز للحقّ والعدل، أمّا الانحياز للعبودية والظّلم؛ فهو انحياز ضعف وجبن ووهن سالب، وهذا النّوع من الانحيازيات هو الذي تمتدّ فيه الشّخصيَّة الإنسحابيَّة إلى النّهاية.

التأهّبُ الأناني (Egoism)

ومع أنَّ التأهّب قيمة، فإنّه لا يكون قيمة إلّا بين سالبٍ وموجبٍ؛ فإن كان التأهّب للموجب وعُمل من أجله كان العمل موجبا، وإن كان التأهّب للسّالب وعُمل من أجله كان العمل سالبا، أمّا التأهّب الأناني فهو يتعلّق بتوجيه التأهّب وفقا للرّغبة الخاصّة بمطمع خاصّ حتى وإن كان على حساب الغير، أو حتى وإن كان فيه ضرر للغير، ممّا يجعل عنوان الأنانيَّة (أنا ومن بعدي الطوفان) وكأنّ العالم خلق للأنا دون غيرها.

فالأنا هو ضمير يعود على من ينطق به؛ فأنا يشير إليَّ وأنت تشير إليك، وهم تشير إلى من لم يكن أنا وأنت، ونحن تحتوينا، وتستثني غيرنا. وترتبط الأنا بالأنانيَّة عندما تخرج عن الذّات والموضوع، وفي هذه الحالة توصف بأنّها في حالة ميل أو انحراف سلوكي يؤدّي بها إلى الأنانيَّة، حيث إظهار السّلوك الأناني على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ في الوجود أو الظهور المماثل.

فالأنانيَّة مرحلة من مراحل الجبن المكوّن للشّخصية الفاقدة للقيم والثقافة والسّلوك الاجتماعي والإنساني، والمستجيبة للرّغبات والأهواء والأطماع الخاصّة، التي تأهّب الفرد بها سلوكا وفعلا وعملا أنانيّا، حيث لا مكان في نفسه للقيم والفضائل التي تكون ذات المجتمع والانتماء إليه.

وترتبط الأنا بالآخر والموضوع عندما تكون العلاقة موجبة، وتنفصل عن الآخر والموضوع عندما تكون العلاقة سالبة، وكلّما ظهر الأنا مع الآخر في الموضوع الواحد وهما في حالة تساوٍ وفق الحاجة والجهد قويت العلاقة بينهما، وكلّما ظهر الأنا أنانيّةً على حساب الآخر ضعفت العلاقة بينهما، وقد يحدث الصدام وتسود الفرقة إلى حين الالتزام بحقّ الآخر في الموضوع دون منّة؛ فالانا الموجبة هي التي تتمسّك بما لها من الموضوع دون أن تمسّ حقّ الآخر فيه.

وعندما تكون أهميَّة الأنا وعيا عند الآخر، وتكون أهمية الآخر وعيا عند الأنا، تصبح الأنا متأهّبة بالخوف الذي به تتمكّن من الاعتراف بحقّ

الجميع في الموضوع العام، وفي مقابل ذلك عندما تعمّ الجهالة الأنا والآخر في الموضوع المشترك يُطمس أحدهما على حساب الآخر ويسود السّلوك الأناني الذي تترتّب عليه الأفعال السّالبة.

وبما أنَّ لكلّ فرد خصوصية تميّزه عن غيره وفقا لقدراته واستعداداته وميوله وثقافته، إذن فلا داعي لطمسها، بل من الواجب إظهارها بما يمكّنها من أداء مهامها الخاصّة بموضوعيَّة واعتبار، وعندما لا تطمس الخصوصية لا تطمس الذات العامّة التي هي مجموع تفاعل الخصوصيات، فأنا كفرد أعرف أنّ ليّ حقوقا وعليّ واجبات، ولذا أتحمّل المسؤوليَّة مع الآخرين الذين لهم علاقات بالمواضيع المشتركة بيننا.

ولأنَّ لكلٍّ أنا عاقل حقوقا يخاف عليها، إذن بدون شكّ إن لم تعط له بإرادة ليس له بدّ إلّا أن يأخذها بالقوة، وله الحقّ في التصرُّف الحرّ في حقوقه، ولا يحقّ له الامتداد على حساب حقوق الآخرين، ولا يحقّ لأحدٍ أن يُقيِّده عن ممارسة حقوقه، وإذا وُضِع القيد على الحقوق وجب فكّها أو كسرها بالقوّة، ولا ننسى ما يتركه وضع القيد من أثرٍ على الأنا، الذي بلا شكّ سيفكّر تأهّبا مرتين أو أكثر قبل أن يفعل أيّ أمر، وسيضع إشارات الاستفهام والتعجُّب على من كان سببا في وضع القيد، وقد تحدث المواجهة كلّما توافرت اشتراطاتها، ولكي تصبح حركة الأنا موجبة ينبغي أن يفسح له الامتداد في مجالات العلائق القيميَّة الآتية:

. مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة.

. مجال العلائق القيميَّة الإنتاجية.

. مجال العلائق القيميَّة السياسيَّة.

. مجال العلائق القيميَّة النفسية.

. مجال العلائق القيميَّة الذوقية.

. مجال العلائق القيميَّة الثقافية.

وعليه: إذا لم يُسمح للأنا بحرّيّة الامتداد في المجالات العلائقيَّة السّابقة تصبح الأنا في حالة سلبيَّة تؤدّي بها إلى ارتكاب الأفعال التي تضفي عليها صفة الأنانيَّة (الشّخصانيَّة)، وعندما تصبح شخصيَّة الأنا مملوءة أنانية، تظلُّ فاقدة لمكونها الإنساني؛ فلا تعطف ولا تخاف ولا تقدم على ما من شأنه أن يجعل لها شأنا اجتماعيّا وإنسانيّا.

ولسائل أن يسأل:

لماذا بلغ الحال بها إلى هذا المستوى الشّخصاني؟

أقول:

لأنَّ التأهّب بأسباب الغفلة والجبن قد سكن فيها سكونًا؛ فلا حركة ولا امتداد. ولذا فمع أنَّ الذي لا يخاف لا يُخيف، فإنّه يشكل عبئا على الآخرين الذين يخافون على الجميع.

وفي مقابل أخذ الحقوق ينبغي أن يتأهّب الأنا لتأدية واجباته، وإذا لم يتمَّ أخذ الحقوق بإرادة، فلن يتأهّب إلى تأديتها، ومن ثمّ، فلا ينبغي أن يُطلب منه أداءها، ذلك لأنَّ الواجبات تؤدّى في مقابل أخذ الحقوق، حيث تماثل أخذ الحقوق مع أداء الواجبات.

وإذا لم تؤدِّ الأنا واجباتها بالتمام في ضوء ما تأخذه من حقوق تصبح الأنا ذات خصائص وصفات أنانية، ولهذا ترتبط الأنا بالشّخصانيَّة والفردية عندما تنفصل عن الموضوع والذات، وترتبط بهما عندما تنفصل عن الأنانيَّة (الشّخصانيَّة).

ولأنَّ الأنا إثبات وجود موجب عندما تتماثل فيه ممارسة الحقوق مع أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليات، لذا فإنْ لم يتمَّ التماثل الموجب، تصبح الأنا في منعرج السّلوك الأناني الشخصاني الذي يُقيّم الأمور من زاوية تحقيق المنفعة التي تعود عليه، بغض النّظر عمّا يصيب الآخرين من ضرر، ممّا يجعل لسان حال الأنا (المهم أنا).

ومع أنّ المسؤوليَّة عبء وحمل ثقيل؛ فإنّها ضرورة للأنا، وفي الوقت ذاته هي حقّ يجب أن يؤخذ، وواجب ينبغي أن يؤدِّى، ولذا تعدّ المسؤوليَّة الضلع الثالث في مثلث ممارسة الديمقراطية، حيث لا ديمقراطية بلا تأهّب يُمكِّن من ممارسة الحقوق، ولا ديمقراطية بلا تأهّب يُمكِّن من أداء الواجبات، ولا ديمقراطية بلا تأهّب يُمكّن من حمْل المسؤوليَّات وتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء.

وعليه:

فمن زاوية نظرية أنَّ لكلِّ (أنا) حقوق وواجبات ومسؤوليَّات، ومن واقعٍ فعلي قد لا تمتلك الأنا شيئًا من هذه المكوّنات الرّئيسة لمثلث ممارسة الدّيمقراطية، ممّا يجعلها فاقدة لذاتها، ولا مفرّ لها من أن تنسلخ عنها لتمارس السّلوك الأناني والشخصاني كردِّة فعل.

ومع ذلك ليس دائمًا الأنا تسلك أو تفعل نتيجة ردود أفعال سالبة، بل في بعض الأحيان تمتلك الأنا كلّ الحقوق والواجبات والمسؤوليات المتعلقة بها ثمّ فوق ذلك تمتد طمعا على حساب ما يمتلكه الآخر، فتوصف هذه الأنا بالطّامعة الفاقدة لقيم الاحترام والاعتراف والتقدير والاعتبار للآخرين.

وبناء على ما سبق أتساءل:

لماذا يودُّ البعض أن يُظهِر أنانيته (شخصانيَّته) على حساب قيم وفضائل المجتمع الإنساني؟

أقول:

متى ما تأهّب الفرد لضيق أفقه ضاق به أفقه أو ضاق عليه، فتصبح رؤيته ضيّقة وتفكيره قاصرا، ممّا يجعله في حاجة لمن يخرجه من همّه وغمّه؛ ولهذا ستظل الأنانيَّة مرض (اجتماع نفسي) يمكّن للمتخصصين الاجتماعيين والنفسيين التعامل معه بعد دراسة موضوعيَّة وافية؛ فانتشار

المظالم بأنواعها المتعدّدة وفي كلّ المجالات (السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة والذوقيَّة والثقافيَّة) ينتج الكثير من التأزمات التي تؤدّي بالبعض إلى الانسحاب من ميادين المنافسة وإثبات الذَّات والتطلّع إلى صناعة المستقبل.

ومع أنَّ مكانة الأفراد والجماعات والمجتمعات ذات علاقة بالتّاريخ والقيم والفضائل التي تصنع الهويّة، فإنّ البعض لا يضع لكلّ ذلك أهميّة؛ فينسحب من بعض القيم والفضائل المرسّخة للمكانة والهيبة، وينطوي على أناته وكأنَّها العالم بأسره، في الوقت الذي هو فيه غافل عمّا يجب تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

ولأنَّ للفروق الفردية أثر على مكوّنات الشّخصيَّة، فالأفراد يتفاوتون في درجات التمسّك بما يجب، ودرجات التخلّي عمّا يجب، وفي درجات التقبُّل والرفض، ممّا جعل لكلّ أحد مستوى من المستويات القيميَّة في خماسي تحليل القيم.

ومع أنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم، إلّا أنّه خُلق ضعيفا من حيث إنّه لا يكون قادرا على الحياة ما لم تتلقّفه أيدٍ آمنة تمدّه بالرّعاية والعناية كما تمدّه بحنان الأبوّة والأمومة والأخوّة، ومع أنَّ هذا الإنسان الضّعيف خُلق ضعيفا، فإنّه قادر على استمداد القوّة وإظهارها متى ما شاء، ولهذا يتظاهر البعض بالقوّة بين الحين والحين كلّما عرف بأنَّ الآخرين في حالة وهن وضعف، فيتمرّد البعض على المساكين، والبعض الآخر يتمرّد

على الظلم في مصادره؛ فنجد البعض ينسحب من ميادين أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليات، في مقابل إقدام البعض الآخر على أدائها، ممّا يجعل التمرّد على المساكين في دائرة الممكن سلوكًا سالبًا لا يقدم عليه إلّا الجبناء، ويجعل التمرّد على الظلم سلوكًا موجبًا لا يقدم عليه إلّا من كان لبنة تأهّب لصناعة التاريخ.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو على حالة من التأهّب بين سلوكٍ موجبٍ وسلوكٍ سالبٍ، إذن لا استغراب فيما يفعل، بل الاستغراب ألا يفعل، وعليه، فالإنسان الذي عصى الله الذي خلقه لا يُستغرب منه أن يعصي المجتمع الذي لم يخلقه، ولذا فالأنانيَّة عندما تسود أفعالها تُنسي الإنسان معرفة من هو؟ ومن الذي خلقه؟ ولماذا خلقه في حاجة والخوف في مكوّناته؟

أقول:

خلقه على الحاجة ليكون متأهّبا وخائفا حتى يبلغ مشبعاتها، وخلقه على الضّعف ليكون متأهّبا وخائفا حتى يستمدّ القوّة، وخلقه قاصرا حتى يتأهّب إلى معرفة التمام، وخلقه جاهلا حتى يتهيأ ويبلغ درجات العلم الرّفيعة، وخلقه فردا متأهّبا وخائفا ليكون مفردة من مفردات المجتمع الآمن.

التأهّب الموضوعي (Objectivity)

التأهّب الموضوعي تأهّب عن حُسن تذكّر وتدبّر وتفكّر واختيار وإرادة حيث لا ضغوط سوى التأهّب لما يجب؛ فمع أنَّ التأهّب واحد لا يتجزأ، فإنَّه على السُلّم القيمي درجاته لا تتساوى؛ فمنها التأهّب الذاتي الذي لا يتعدّى الرّوابط الاجتماعيَّة، ومنها التأهّب التطلّعي المحتوي للذّات والمتطلّع لكلّ ما لم يكن على حِسابها، ومنها التأهّب الإنسحابي الذي فيه تتخلّى الشّخصيَّة عن بعض القيم المفضّلة لدى أفراد المجتمع وجماعاته، ومنها التأهّب الأناني الذي يغالب الجبن فيه صاحبه، ممّا يجعل التأهّب والخوف ساكنا حيث لا حركة تؤدّي إلى معرفة الحلّ.

أمَّا المستوى القيمي للتأهّب؛ فهو التأهّب العدل الذي لا يسعى صاحبه إلى قول باطل، ولا ارتكاب مظالم، ولا سلوك ليس بقدوة، حيث لا انحياز لعصبيّة بغير حقّ، ولا إقصاء لمن له حقّ، ولا تغييب لمن عليه أداء واجب أو حمْل مسؤوليَّة.

فالمستوى القيمي للتأهّب الموضوعي يأمل الحلّ الذي يقضي على الألم كما يقضي على ارتكاب المظالم، وأصحاب هذا التهيّؤ هم الذين يشخِّصون الحاضر، ويستقرئون المستقبل؛ فيقررون ما يجب، ويحرّضون عليه، ويبشِّرون به، ويرشدون إليه.

ولذا كلّ شيءٍ عندما يتطابق مع ما يجب يكون في محلّه متطابقا موضوعيّا، وكلّ شيء عندما يتميّز عن غيره بما يجب، ينبغي أن يكون تميّزه

في محلّه موضوعيا، ولهذا التنوّع والتميّز والاختلاف والتباين من الطّباع الموضوعيَّة التي يجب أن تُقدّر وتُعتبر وتُحترم ويتمّ الاعتراف بها في دائرة الممكن.

وعليه: تُعد الموضوعيَّة مكوّنًا قيميًّا استيعابيًّا تندمج فيه المعارف الإنسانيَّة والعلوم والثقافات التي تحتوي الأنا وتستوعب الآخر، وتنتج أفعالا وسلوكيات تؤدّىَ من قِبل الجميع بإرادة، وتكوّن منظومة قيميّة ذات أبعاد ومرامٍ إنسانية خالية من التعصّب والتحيّز خوفا من سيادة المظالم والمفاسد على حساب الأمن والسَّكينة.

إذن: الموضوعيَّة مستوى من القيم والفضائل الإنسانيَّة، فيها تسود أخلاق المساواة بكلّ شفافيَّة دون أن يسود أحد على حساب سيادة آخر، فلا تحتكم إلّا للعقل، فبعد أن كانت الشّخصيَّة تحتكم في قاطع ذاتيَّة تميل إلى الموضوعيَّة (التطلُّعيَّة) بالمنطق الذي يعتمد في أحكامه على ما هو متوقّع أو مفترض، أصبحت تحتكم بالعقل الذي به تتميّز في أحكامها وسلوكياتها بعد أن تتبيّن الحقّ من الباطل والخير من الشر وما يجب وما لا يجب مخافة من المظالم.

فالموضوعيَّة مستوى من مستويات التفكير الإنساني الورع، حيث يخاف الإنسان من ارتكاب الأفعال الظالمة ومن المترتّب على فعل الظلم. ولا يمكن أن تكون الموضوعيَّة سلوكا أو فعلا ما لم يرتق التفكير إلى مستوى

توفُّر الثقة الدّاعمة للإرادة، والممكّنة للفرد من اتخاذ قرار إنساني عن وعي وبتجرّد.

في هذا المستوى القيمي الموضوعي تُقيّم الظروف والمواقف الفردية والجماعية والمجتمعات خوفا على الجميع وبكلِّ موضوعيَّة عندما تتوافر معطياتها واشتراطاتها المبررة لوجودها، ولذا فإنَّ الموضوعيَّة مرحلة وعي متقدّم على مستوى الثقافة والفكر الإنساني؛ فهي المملوءة بالمخاوف من أجل التأهّب للحقائق المجرّدة قولًا وعملًا وسلوكًا وفعلًا؛ فلا تميل كلّ الميل، ولا تصدر الأحكام بلا معلومات ومعارف واضحة خوفا من ارتكاب الأخطاء أو المظالم، ولهذا فالموضوعيَّة مرحلة تيقُّن ومعرفة يتهيأ بها العقل ليتجاوز مراحل الانحرافات والميول السّالبة التي تحيد أفعالها كثيرًا أو قليلًا عن الحقيقة، وتنحاز إلى غير ذلك، إنّها المبتعدة عن المنقوص والمتمسّكة بكلّ فعل تام.

المستوى القيمي للتأهّب الموضوعي فيه تُقيّم الأمور بنزاهة لا بعاطفة، فهي ليست حالة اعتدال كما هو حال قاطع الذاتيَّة في خماسي تحليل القيم، وهي ليست حالة من حالات التطرّف والانسحاب كما هو الحال في قاطعي (الأنانيَّة) و (التطلُّعيَّة)، بل هي حالة من الانسجام والتطابق مع مبرّرات المواضيع ومعطياتها العلمية، ولذا فإنَّ الموضوعيَّة تتمركز دون تردّد ولا جبن على:

. التجرّد من رغبات الأنا وأطماعه ومصالحه الشّخصانيَّة.

. لا تعترف إلّا بما يجب، ولا تؤدّي إلّا الأفعال الواجبة السّلوك.

. تُقيّم الأنا والذّات والآخر بمنظور معياري، لا بمنظور مزاجي عاطفي ولا بمنظور شخصاني.

. السّلوك والأفعال الحضاريّة المتماثلة مع الثقافة المستوعبة لكلِّ خصوصية.

. الاعتراف بوجوبيّة أخذ الحقوق.

. الاعتراف بأحقيّة أداء الواجبات.

. الاعتراف بأهميّة حمْل المسؤوليات.

. التقدير لمن يجب ولِمَ يجب.

وعليه فإنّ التأهّب الموضوعي يحقّق الشّخصيَّة المتوازنة معرفة، كونها تعتمد على قوّة البصيرة التي تمكّنها من معرفة الحقيقة، وتميّزها عن غيرها من الأنفس: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}[23]؛ فالبصيرة قوّة عقلية واعية يتبيَّن من خلالها الإنسان الموضوعي معرفة ما يجب وما لا يجب، وعندما يسلك لا يتردّد، لثقته فيما يفعل أو يسلك عن معرفة سبقتها متأهبات صائبة.

ولسائل أنْ يسأل:

[23] القيامة 14، 15.

. من أجل ماذا التأهّب الموضوعي؟ ومن الذي يتّصف به؟

أقول:

التأهّب الموضوعي من أجل الحقّ ليس إلّا، والذي يتّصف به هو السّاعي لإحقاقه.

ولهذا فالذين يسعون دائما لإحقاق الحقّ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي أنَّ الذين استقاموا لا اعوجاج فيهم؛ فهم على الصّراط، ولكن متى يكون الإنسان على الصراط؟

أقول:

عندما تمتلئ نفسه بالسّكينة حتى تصبح مطمئنة، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}[24].

إذن الموضوعيَّة يملؤها التأهّب والأمل لا يفارقها من أجل إظهار الحقيقة مهما اختلف الزّمان والمكان والثقافة أو الدّين والعرف؛ فالحقيقة واحدة سواء أكانت ذات مؤثِّر سالب أم ذات مؤثّر موجب؛ فالكذب حقيقة والصّدق حقيقة، والنفاق والرّفض والتمرّد حقائق كغيرها من الحقائق، والموضوعيَّة هي قول الحقيقة وفعل الحقيقة، وفي المنطق الموضوعي

[24] فصّلت 30، 31.

ليس عيبا أن يقال للكاذب كاذب، وللسّارق سارق وللصّادق صادق، بل العيب ألا يقال ذلك حقيقةً. هذه هي الموضوعيَّة كحقيقة لا تتبدّل ولا تتغيّر مهما تغيّر الزّمان والمكان أو تغيّرت وجهات نظر الأفراد وتبدّلوا نتيجة تعرّضهم إلى مؤثّرات ومتغيّرات من الدّاخل أو من الخارج.

وبما أنَّ الحقيقة هي ما يتطابق مع الموضوع، إذن ليس بالضّرورة أن تكون الموضوعيَّة منطقية، وذلك لأنَّ معايير الحقيقة ليست هي المعايير المنطقيَّة، فمعايير الحقيقة هي الصّدق والثبات، أمّا معايير المنطق؛ فهي الافتراض والتوقّع؛ فالإنسان كونه موجودا وجوده حقيقة موضوعيَّة وليس وجودا متوقّعا، وتفكيره منطق، ذلك لأنَّ التفكير مرتبط أو مترتّب على وجود الإنسان باعتباره متميّزا بقدرات العقل المفكّر، والحكم على أنَّ الإنسان موجود وأنّه مفكّر هو الحقيقة الموضوعيَّة، ولكن ليس بالضّرورة أن كلّ إنسان موجود هو مفكّر، حيث أنَّ البعض موجودون ولكنّهم فاقدون حاسة التفكّر والتذكّر اللذين هما من خاصيّة الإنسان، وهذا ما يجعل المنطق ليس بالضّرورة أن يعكس الحقيقة على ما هو واقع.

وفي الموضوعيَّة ينطبق الحكم على المحكوم، حيث تطابق المعطيات المثبتة بالملاحظ أو المشاهدة، وإذا لم ينطبق الحكم على المحكوم تصبح الحالة المحكومة تحسّ بالظلم؛ فترفض وتطالب بالنقض، وإلّا ستتمرّد وتثور بأسباب التأهّب والخوف من مصدر الظلم، ولذا عندما يتطابق الحكم أو

الفكرة مع الواقع تسود الموضوعيَّة؛ فتصبح سلوكًا أو فعلًا ماثلًا إثباتًا وليس افتراضًا.

وعليه: عند إجراء الدراسات والبحوث العلمية لظاهرة أو مشكلة ما يطلب البعض من الباحث موضوعيا أن يتجرّد من خصوصيته الاجتماعيَّة والتشريعيّة التي بها يتميّز عن غيره، لكيلا يتأثّر بها عاطفيًّا على حِساب موضوعيَّة البحث العلمي، ولكن إذا كان الأمر كذلك، هل تُعدّ الخصوصيَّة عيبًا علميًّا يجب تلافيه، أم أنّها تُعدّ ميزة علمية ينبغي ألا تُهمل بالبحث الموضوعي؟

أقول:

إذا كانت الخصوصيّة ذات تأثير سلبي على إظهار الحقائق (هي كما هي)، بدون شكّ هي عيب لا علاقة للعلم بها؛ فالعلم تجريد الحقائق ممّا يعلق بها، وليس تلبيس الحقائق بباطل، ولذا فإنَّ البحث العلمي الموضوعي هو الذي يتدارك الخصوصيات بالبحث دون أن يهمل شيئًا منها، ولكن البعض الذي يدّعي الموضوعيَّة أو يودّ لها أن تكتسي بما ليس فيها هو الذي يُعدُّ في حقيقة أمره خارجا عنها، تلحقه الإشارات ولا يستطيع إلحاق الآخرين بإشارة منها.

ولأنَّ للخصوصيَّة دلالة ومعنى؛ لذا لقد خُلقنا عليها، ممّا جعل بصمات الجميع لا تتساوى ولا تتطابق مع الجميع؛ فلكلٍّ خصوصيّته التي

خُلق عليها دون غيره، مصداقا لقوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}[25].

ولذا إنْ كانت الخصوصية من صنعنا، فقد يكون العيب فيها، وإنْ كانت من صنع صانعنا؛ فكيف يمكن لأحدٍ أنْ يتخلّص منها؟

وعليه فالموضوعيَّة هي: أن تُقدّم الحقائق كما هي لا كما ينبغي أن تكون عليه، ذلك لأنَّ ما ينبغي أن تكون عليه هو المطلب، وستظلّ الحقيقة كامنة في الموضوعيَّة إلى أن يتحقّق ذلك المطلب الذي يُقدِّمها موضوعيا (هي كما هي).

إذن: الحقيقة علميا هي كشف الزّيف عن المعلومة سواء أكانت هذه المعلومة صادقة أم كاذبة، فينبغي أنْ تُقدَّم (هي كما هي) ولا تُقدّم كما يودّ البعض أن يقدّمها.

ولإزالة اللبس والغموض عن الموضوعيَّة، ينبغي أن نفرّق بين التزام الباحث بخطوات البحث العلمي أثناء تقصي المعلومات والبيانات التي تعكس حقيقة الموضوع، وبين شخصانية الباحث وأنانيته التي لا تعكس حقيقة الموضوع، ولذلك التزام الباحث بدينه وتحيّزه إليه هو حقّ لا يعدّ عيبا، بل العيب ألا ينحاز إليه باعتباره الحقّ، وعلينا في مثل هذه الحالة أن نميّز بين الدّين كموضوع وبين سلوك البعض، وبخاصّة الذين ليس لهم علاقة بالموضوع، ولهذا فمن الموضوعيَّة أن يتميّز موضوع الباحث المسلم عن

[25] الأنعام 94.

موضوعات غيره من البحاثة غير المسلمين عندما يكتبون عن الدين الإسلامي، وفي مثل هذه الحالة لسائلٍ أن يسأل:

من الباحث الموضوعي يا ترى؟

أقول:

في اعتقادنا سيكون الباحث المسلم أكثر موضوعيَّة من غيره عندما يتعلّق موضوع البحث بالدّين الإسلامي، ويكون المسيحي أكثر موضوعيَّة من غيره عندما يكون الموضوع قيد البحث يتعلّق بالمسيحية، وهكذا يكون الباحث اليهودي أكثر موضوعيَّة عندما يتعلّق أمر البحث بالدّين اليهودي، ولذا فالباحث المسلم عندما يكتب عن دينه (الإسلام) يُفترض أن يكون هو الأقرب إلى المعلومة الصّادقة من الكاتب غير المسلم، وهكذا حال الباحث الكنفوشي أو البوذي عندما تكون مواضيع البحوث ذات علاقة بأديانهم ومجتمعاتهم؛ فكلّ منهم يُفترض أن يكون موضوعيا عندما يتعلّق موضوع البحث بدينه أو مجتمعه، وهكذا هي الموضوعيَّة من يتهيأ لها يصبح متصفا بها ومن لا يتأهّب لها فلا إمكانيَّة.

الشّخصيَّةُ المتأهبةُ لنيلِ المأمولِ:

الشّخصيَّة المتأهِّبة لنيل المأمول هي التي آملت، ثمّ استعدّت وأعدّت العدَّة بغاية نيل مأمولها حتى أصبحت متأهِّبة للإقدام على كل ما من شأنِّه أن يمكّنها من نيله والفوز به.

ولذا فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئًا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصًا وعملًا جادا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائما في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد؛ فالانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا؛ فلا داعي للعمل؛ فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيات المؤدّية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير، الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النَّفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئًا ملموسًا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد؛ فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله؛ فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني فقدان العزيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به؛ فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولًا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) فإنَّه لا يكون إلّا خلقًا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة؛ فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدّد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقًا للحاجة والشَّهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزا واحدا. ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها؛ فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمَّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا

مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيم ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[26].

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمَّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيا والنوايا فردية؛ كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا يؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي

[26] الأنعام 135.

بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذَّات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم. أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطّع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة. وعليه فإنّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمَّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة

الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه، ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيا أم مطلقا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتا، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال؛ فساعة نيلة وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقٍّ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالا مجرّدا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاق جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنًا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا كي لا تتسع دوائر التُبّع[27].

المأمول ليس بمستحيلٍ:

ولأنَّ المأمول لم يكن مستحيلًا فهو ممكن المنال، ولهذا فلا مجال لأملٍ إلّا في دائرة الممكن، ولا إمكانيَّة لنيل مأمولٍ إلّا فيها، وهذه ما دون المستحيل والمعجز، حتى وإن كان المأمول المتحقّق نيله خارقة من الخوارق؛ فالخوارق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ومن ثمّ كان المستحيل كونا متسعا ومتسارعا في تمدّده، وكان الأمل يلاحقه بغاية معرفته مأمولا، ومع ذلك مازال قاصرا عن معرفته بالرّغم من الأمل العريض. ولأنّه شيء ونتحدث عنه؛ فهو يشغلنا حيرة تدفعنا تجاه معرفة مَن وراءه؛ فنحن نقف عاجزين أمام توصيف المستحيل الذي مهما تدبّرنا أمره، فليس لنا إلّا التسليم الذي يقرّ بوجود واجد له، ولا يكون إلّا أعظم منه، ومن ثمّ؛ فلا يوجد شيء، أو يخلق لو لم يكن من ورائه خالق.

[27] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م، 31 – 45.

ومن هنا افترق البعض القليل من النّاس مع البعض العظيم؛ فالقليل منهم وقف عند معجزة المستحيل في ذاته، أمّا معظم النّاس فلا يؤمنون بعظمة المستحيل إلّا بعظمة فاعله المطلق الذي خلقه حائلا لا يخترق مهما أمِلَ الآملون.

ولأنَّ المستحيل نتاج طاقة وقوّة؛ فهو فعل يُفعل؛ فينتج عملا قابلا للملاحظة والمشاهدة، ولأنّنا نقف أمام المستحيل عاجزين؛ فَلِمَ لا نقف أكثر عجز أمام الفعّال له؟

فعلماء الفيزياء اكتشفوا أنّ الكون يتمدّد متسارعا، وهم عاجزون عن إيقافه، بل هم عاجزون عن قياس سرعة تمدّده، كما أنّهم عاجزون عن معرفة نقط صفر النّهاية التي سيتوقّف عندها، ومع ذلك يرى البعض أنّ الكون يتمدّد متسارعا، ولا شيء وراء تمدّده متسارعا، أي: لا إله من ورائه، وكأنّه تمدّد بلا غاية.

ومع ذلك أجمع علماء الفلك والفيزياء على أنّ للكون نهاية، وليس له بدّ إلّا بلوغها، وهي الانكماش أو التجمّد أو الانفجار الذي ينهي تمدّده المتسارع ويقفه عند حدّه، أو يكون سببا في إعادة تشكيله من جديد، أو كما نرى نحن إعادة رتقه مع الأكوان الأخرى التي سبق وأن فُتقت؛ لتعود إلى حالتها الطبيعية التي خُلقت عليها عوضا عن الحالة التي أصبحت عليها طِباقا.

وبما أنّ الفزيائيين واثقون من نهاية الكون؛ فالسؤال:

من الذي وضع له نهاية؟ ثمّ كيف وضع الكون لنفسه حدّا كما يظنون وهو لم يصل إليه بعد؟

أقول:

كلّ ما قيل في هذه الخصوصية ليس بحكم علمي، بل مجرّد آراء لا تتعدي نظرات أصحابها الذين انبهروا بما رأوه من مستحيلات حتى ظنوا أنّها الخالق، وهم بهذه النظرة، كمن لا يميّز بين الخالق وما خَلق، ولكن وفقا لقاعدة المستحيل المؤسّسة على خَلق الشيء من لا شيء؛ فلا شيء إلّا ومن ورائه مشيء، وسيظل الأمر كلّ شيء من ورائه مشيء حتى بلوغ المستحيل الذي لم يكن من ورائه إلّا المستحيل الذي يؤدّي بالواعين إلى التّسليم الذي لا يجعل لآمالهم فسحة إلّا فيما دون المستحيل والمعجز.

ومثلما يكون وراء كلّ شيء شيءٌ كما هو حال بني آدم الذين هم من نطفة، وآدم من تراب؛ فكذلك يكون وراء كلّ مستحيل يشاهد ويلاحظ مستحيلٌ لا يمكن مشاهدته ولا ملاحظته، مع أنَّه يُدرك استحالة، فالمستحيل كفعل يتحقّق عملا؛ فهو: مثل خلق الكون، والحياة والموت والشّروق والغروب، أمّا المستحيل كذات، فلا يتجسّد في شيء يمكن أن يكون من ورائه شيء آخر، فيصبح التسليم به إعجازا؛ إذ لا شكّ في وجوده، والمستحيلات تتحقّق بين أيدي النّاس في كلّ جزئية من الزّمان والوقت ولا أحد يستطيع إيقافها أو الحدّ منها وإن عظمت آماله؛ ولذا

فمعرفة المستحيل تُمكّن من معرفة مستحيلات أعظم حتى بلوغ المستحيل مستحيلا.

فالكون الذي قالوا عنه: خُلق من لا شيء ولا خالق من ورائه فبقولهم هذا يعترفون بوجوده، والخالق من ورائه، وإلّا لماذا قالوا: (خُلق من لا شيء) فكلمة (خُلق) تعيد أمر الخلق للخالق وليس للشيء المشار إليه بأنّه قد خُلق من لا شيء.

ولأنّ وجود الكون شيء مستحيل؛ فلا شكّ أن من ورائه ما هو أعظم استحالة، وهنا يكمن القصور بين إدراك المستحيل الأوّل (الخالق) وما يراه المستحيل اللاحق (الإنسان) الذي خُلق مستحيلٌ؛ فالإنسان مع أنَّه خُلق مستحيلٌ، لكنّه لا يخلق المستحيل؛ ولهذا فالقاعدة:

(من يَخلق المستحيل لا يُخلق).

ولأنَّ من يخلق المستحيل لا يُخلق، والكون خَلق مستحيل، إذن: فالمستحيل (الكون) يُخلق وخالقه لا يُخلق، ولهذا؛ كان خلق الكون مستحيلا مثله مثل أيّ مستحيل.

والقاعدة الخلقية تقول:

(المستحيل قوّة تَخرِق ولا تُخرَق).

ولأنَّ المستحيل قوّة اختراق لكلّ قوّة وإن اجتمعت، فقوّة الكون تمدّدا وتسارعا ستقف وتنتهي انكماشا أو انفجارا عظيما، أو رتقا أعظم، وهذا

يدلّ على وجود مسيّرٍ للمستحيل، وموقف له، أو مفجّر، أو راتق له؛ إذ لا استحالة أمام الفعل المستحيل. وهنا تقف الآمال عاجزة، ومن ثمّ ليس لها إلّا التسليم؛ إذ لا مأمول إلّا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ولذا فالتوقّف عند المستحيل عن وعي يمكّن من عدم الوقوف عنده نهاية؛ فالمستحيل فعل لا يتحقّق إلّا وفق مشيئة فاعله، وهو الذي ينبغي له أن يدرك بمشاهدة مستحيلاته وملاحظته حتى يدرك أنَّ إدراكه مشاهدة وملاحظة هو الاستحالة بعينها؛ ولذلك فالقاعد الخَلقيّة تقول:

(المصوّرُ المطلق يرى ولا يُرى).

وعليه فلا إمكانية لرؤية المصوِّر المطلق كونه لا يُصوَّر، ولهذا؛ فخالق الشيء لا يمكن أن يكون الشيء؛ ذلك لأنَّ الشيء يُخلق والمشيء لا يُخلق.

ولأنّ المشيء لا يمكن أن يكون شيئا، إذن: فكيف للكون كونه شيئًا أن يكون مشيئًا لخَلق ذاته؟

هذا ما ارتأه بعض علماء الفيزياء الذين وقفوا على معجزات الخالق وكأنّها خالقة لنفسها، ومن لا شيء، وفي هذا الشأن وكأنّهم يقولون: نحن خُلقنا شيئا من لا شيء، في الوقت الذي هم فيه يعلمون أنّهم قد خُلقوا من ترابٍ. وإلّا كيف يقبلون بخلقهم من تراب وهم يعلمون أنّ أباهم آدم لم يخلق نفسه، وهو من تراب، أي: بما أنّ آدم من تراب، ولم يكن ترابًا؛ فمن الذي خلقه آدم؟

إنَّ هذه القاعدة تسري بالتّمام على خَلق الكون الذي قالوا عنه إنّه من ذلك الانفجار العظيم لتلك الذّرة التي لم يقولوا عن خلقها شيئا، وهي التي لو لم تُخلق ما كانت ذرة، وما انفجرت كونا عظيما كما يدّعون بلا دليل سوى وجود أثرٍ يشير إلى الانفجار، أو يشير إلى ما يشبه الانفجار، في الوقت الذي قال فيه الخالق تعالى غير ذلك: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[28].

وبناء على هذا القول تساءلنا:

أيّهما أولى: أن نأخذ بقول الخالق، أم أن نأخذ بقول المخلوق؟ ومع ذلك قبلنا قول المخلوق لنأخذ بقول الخالق.

فالخالق الذي خَلق الكون، وكوّر فيه النّجوم والكواكب كما كوّر منه الأرض التي خُلق الإنسان الأوّل من ترابها عندما كانت مرتقة في السّماوات جنّة، قال: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[29]. فكيف بمن لم يكن سابقا على قوله تعالى، أن يقول: إنّ الكون خَلق نفسه؟

وكيف أقنع نفسه بذلك مع أنَّ ما بلغه من معرفة لم يكن ولادة مأمول حتى يكون بين أيدي النّاس دليلا شاهدا في معامل ومختبرات البحث العلمي المتقدّمة؟

---

[28] الأنبياء 30.

[29] الزّمر 62.

وإذا سلّم من سلّم بهذا القول؛ فسيجد نفسه في مواجهة مع خلق نفسه التي لم يخلقها. وبتسليمه هذا ليس له بدّ إلّا الاعتراف بأنّه لا إمكانية أن يخلق الشيء نفسه. أي: كيف لمن يعرف أنّه خُلق من نطفة أن يقول شيئا غيرها؟

ولأنّ قاعدة الخلق تقول: الشيء يُخلق ولا يَخلق.

إذن: فمن خُلق من نطفة ليس له بدّ إلّا استمداد قاعدة خلقه من شيء (تراب أو نطفة) ليستقرا بها خلق الشيء الذي لا يمكن أن يخلق نفسه، إنّها المسلّمة لمن يدرك أنّه لم يَخلق نفسه، لكونه يدرك خلقه من النطفة التي من قبلها يعلم أنّها لولا التزاوج ما كانت، وكذلك من قبلها يدرك أنّ أبويه (آدم وزوجه) لم يكونا من نطفة، وهنا تكمن العلّة التي قفز عنها بعض من علماء الفيزياء بقولهم: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه، وكأنّهم بلغوا غاية بعد أن أنجزوا أهدافا من أجلها، ومن بعدها نالوا مأمولا بعد أن كان مجرد أملٍ.

ومع أنَّهم يؤمنون بخلق الأشياء، ولكنّهم عندما وقفوا عند أكبرها (الكون)، قالوا: إنّه شيء، ولكنّه خالق. وهذا ما يتعارض مع قواعد الخَلق:

. هيئة الشيء تسبق الشيء وجودًا.

. وراء كلّ شيء مشيئ.

. وراء كلّ مخلوق خالق.

. الخالق يرى ما خلق، والمخلوق لا يرى خالقه.

ولذا؛ فالكون لو لم يكن له مكوِّن ما كان كونا، والخَلقُ لو لم يكن من ورائهم خالق ما خُلقوا، والعلم لو لم يكن من ورائه العالم ما عُلّم: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[30].

وعليه:

فالمستحيل فعل، والفعل لا يشاهد ولا يلاحظ إلّا إذا تجسّد في عملٍ؛ ولذلك فالمستحيل طاقة تُمكّن من إيجاد ما لم يسبق وجوده؛ ومن ثمّ فالمستحيل فعل أوجد كونا متمدّدا ومتسارعا في تمدّده، ثمّ خُلق منه وفيه ما خلق مستحيلا، وكلّ ما خُلق استحالة، لا يُخلق ممّن لا يتجاوز جهده دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وإنّ كان يأمل ذلك.

ولأنَّ الكون خُلق خَلقا مستحيلًا إذن: فلا إمكانية لخلق كون مثله إلّا من الذي خَلقه مستحيلا، ومن هنا، استقراء علماء الفيزياء والفلك، وجود أكوان أخرى خارج كوننا المتمدّد تسارعا، ومع أنَّهم اكتشفوا معطيات تشير لذلك، ولكنّ ما هو أعظم: أنَّ الخالق قد أخبر عنها وضوحا، ويا ليتهم يطّلعوا على الكتاب لعلّهم يرشدون إلى ما هو أعظم علما ومعرفة: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}[31]؛ فقوله: (كيف خلق) هنا يكمن المستحيل؛ إذ لا إمكانيَّة لمعرفة الكيفية التي بها

---

[30] البقرة 31.

[31] نوح 15.

خلقت الأكوان طِباقا، ولأنّ معرفة (كيف؟) أمر مستحيل؛ فأخبرنا الخالق عن (الكيف) بقوله: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[32]. أي: بعد أن كان الكون ملتحما سماوات وأراضين، فُتق مستحيلا إلى سبعة سماوات وسبعة أراضين، وبما أنّنا نعلم بفتق الأكوان، فَلِمَ لا نبحث حتى نكتشفها مستحيلا بعد مستحيل، وحينها نقول: قد بلغنا غاية وفزنا بمأمولٍ.

ولذلك فالأرض لا تَخلق الأرض، والسّماء لا تَخلق السّماء، وعالم الفيزياء لم يلد نفسه ولم يخلقها، وحتى إن خُلق الشبيه بأيّ مفتاح من مفاتيح العلم، فلن يُخلق الشبيه البشري إلّا من خلية حيّة، وحتى إن خلق الشبيه، فسيظل شبيها، ولذلك؛ فقضية الخلق (الحياة) لن تكون إلّا بيد من بيده أمر الحياة.

ولأنَّ المستحيل لا يمكن أن يُدرك إلّا عندما يصبح شيئا مفعولا، إذن: فالمستحيل عندما يتجسّد في عمل يصبح مفعولا شكلا أو صورة أو شيئا مشاهدا وملاحظا، ولأنّه المفعول؛ فلا يكون إلّا بفعل الفاعل، ولأنّه بفعل فاعل المستحيل؛ فهو لم يَخلق نفسه، بل من ورائه خالق المستحيل الذي لم تتمكّن عقول بعض الفيزيائيين من التمييز بينه وبين فعله الإعجازي؛ فعقول البعض وقفت عند المستحيل وكأنّه الخالق، وهنا تكمن العلّة المعيقة للبعض من الارتقاء وإحداث النُّقْلة. ولهذا وجب للإنسان أن

[32] الأنبياء 30.

يأمل ويسعى عملا جادا من أجل بلوغ المأمول العلمي، ونأمل له نيله، شريطة أن يكون نتاج تساؤلات وفروض علمية، حتى يبرهن لنا تجربة يمكن تكرارها ومشاهدة الحقائق البعيدة من خلالها قريبة.

ولذلك فالكون لو لم يكن مخلوقا ما كان مستحيلا، والاستحالة من أجل أن تُدرك ينبغي لها أن تلاحق وتتابع استحالة بعد استحالة، وكأنّها تتدرّج من الأصعب إلى الصّعب، فخَلق الكون وتسييره أكبر المستحيلات التي تمّ إدراكها عقلا، ثمّ خَلق المشاهد في ظُلمة فيها خُلقت الأرض كما خُلقت النّجوم والكواكب والمجرّات، ثمّ خلقت الأزواج من الأرض وهي مرتقة في السّماء، ثمّ من بعدها خُلق التكاثر تزاوجا، فكلّ هذه المخلوقات هي نتاج الفعل المستحيل؛ ولذلك فبمقارنة خلق الأزواج من الأرض وهو الأقرب لعقول البشر، نجد أنّ الخلق من لا شيء (خلق الكون) يبدو وكأنّه أصعب من خلق الأرض، وهكذا خَلق الأرض يبدو وكأنّه أصعب من خلق آدم وزوجه المخلوقان منها، وكذلك الخلق من التزاوج على الصّعوبة التي لا تقارن لو لم يكن هناك ما هو أعظم خلق منه.

ومع أنّنا ندرك أنّه لا صعوبة بالنّسبة إلى الخالق، كونه يخلق بأمره ما يشاء متى ما يشاء، وأينما يشاء، وكيفما يشاء، ولكن لتقريب المعنى وتوصيل المفهوم دلالة استمددنا مثالا توضيحا للمستحيل الذي لا يكون إلّا مخلوقا ومفعولا من خالق يَخلقه ويفعله؛ ولذلك فلا وجود للصّعب على

من بيده أمر الخلق استحالة، ولكنّ الصّعب يواجه من يحاول بجهده ومقدرته المحدودة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

فالمستحيل فعل لا تواجهه الصّعوبة، بل الصّعوبة تواجه الممكن الذي لا يكون إلّا في حدود الجهد والإمكانات المتاحة؛ فالمستحيل لا علاقة له بالجهد، بل له علاقة بالفعل المطلق الذي لا يكون إلّا بيد من فعل المستحيل الذي به خُلق الكون تمدّدا وتسارعا إلى النّهاية التي من بعدها ستؤول الأكوان كونا مرتقا.

ولذا؛ فعندما تُرتق الأراضين والسّماوات يعود الكون كما خُلق أوّل مرّة: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[33]، فالوجود هكذا سيكون بين تمدّد وانكماش حتى النّهاية التي تعتدل فيها الأكوان على كرسي خلقها بلا استحالة.

فالمستحيل لا يكون بالعمل، بل المستحيل لا يكون إلّا بالفعل؛ ذلك لأنَّ العمل يتحقّق وفقا لما يُبذل من جهد وما ينجز منه، أمّا الفعل فلا يتحقّق إلّا بفعل الفعّال؛ إذ لا حاجة للجهد (كن فيكون)، وعن غير مقارنة فأنا مثل غيري، بنظرات عيني فقط، أقول لأبنائي: اصمتوا، أو اجلسوا، أو اخرجوا؛ فما بالك بخالقي وخالق الكون وكلّ شيء مستحيل، ألا تكفي كلمة (كن)؟

[33] الرّوم 11.

وعليه:

فكلُّ ما لم يكن مستحيلا هو ممكن، وهنا تصنع الآمال ويولد مأمول من بعد مأمول، والفرق بين الممكن والمستحيل، هو: أنّ الممكن، قابل للإثبات أو الاكتشاف، وهو في حاجة لمن يبرهن على معطيات وجوده، وهو قابل للإثبات مثلما هو قابل للنّفي والرّفض، وقابل للظّهور مثلما هو قابل للكمون، وقابل لأن يكون أملا من أجل مأمول.

ولهذا لو لم يكن ممكنا ما تمَّ إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشّكّ فيه، ومقارنته مع غيره، أو معرفة مدى ترابطه أو ثباته أو اهتزازه.

أمّا المستحيل: فهو المثبت الذي نعلم به ولا نعرف كيفيته إن لم يخبرنا عنها فاعله تعالى، فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بيوم البعث، ولكنّهم استحالة لا يعرفونه، ولا يعلمون ساعته، ولذلك؛ فالخلائق تموت ولا أحد يستطيع إيقاف الموت عنها، والأحياء يخلقون ولا أحد يستطيع بث الحياة فيهم إن لم يولدوا أحياء، وهكذا الشّمس تشرق وتغرب، ولن يستطيع أحد تغيير أمرها أو تبديله.

ولأنَّ وجود المستحيل لا يُنفى، ولا يُلغى، ولا يُقدّم ولا يؤخّر؛ فهو متحقّق في زمن المفاجئة، فالصّواعق والزّلازل والبراكين لابدّ وأن تحدث، ولكن ينبغي لنا أن نعمل ما من شأنه أن يقي منها، وكذلك المرض آتٍ ولكن ينبغي أن نعمل ما من شأنه أن يقي عنه، ويشفي منه، والصّحة تضعف، والعمل على تقويتها ضرورة ممكنة، والموت لا شكّ أنّه آتٍ وإن

أطلنا في أعمارنا وبلغنا عمر نوح عليه السّلام أو حتى تجاوزناه سنينَ، فكلّ ذلك ممكن علما وبحثا ومعرفة. ولكن أن نلغي الحياة أو الموت حتى وإن دمّرنا ما يمكن لنا تدميره؛ فلا إمكانية، وهنا يكمن المستحيل، أي: إنّ أمر المستحيل بين يدي فاعله أمرا نافذا؛ فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السّبت فإنّ يوم الأحد سيأتي غدا وفقا لِعِلمنا ومعرفتنا، ولكن يستحيل أن يحدث الانفجار العظيم ثانية، أو سينكمش الكون، أو أن يُرتق في لحظة المفاجئة، ولن يأتي الأحد غدا كما هو متوقّع، وهذا الأمل يسري على المأمول؛ إذ ليس كلّ الآمال تتحقق وإن كان المأمول قابلا للنيل.

ذلك لأنَّ المستحيل هو فعل يُفعل بغتة (في زمن المفاجئة)، وهو الذي يحتوي دائرة الممكن، والممكن لا يحتويه، فالممكن لا يكون إلّا وفقا للاستطاعة، ولا يتحقّق إلّا على أيدينا، أمّا المستحيل فهو ما لا تستطيع قوّتنا فعله، ولا أيدنا عمله، ولا عقولنا إدراكه ومعرفة كيفيّته. ومع ذلك؛ فمن الضّرورة التفكير فيه بعمق ودون ملل؛ فالملل يحول بين الحقيقة والباحثين عنها.

ولذا؛ ينبغي للبحّاث إن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية لن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم.

ولذلك وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعية تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي لنا أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ومن هنا فلا ينبغي للمناهج أن تكون تدبّرية مقتصرة على الوقت الحاضر، بل ينبغي لها أن تكون تطلّعية، تستوعب الحاضر تدبّرا ولا تقتصر عليه، فالتدبّر لا يكون إلّا وفق الإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر، أمّا التطلّع فهو البحث عمّا يُحدث النُّقْلة إلى ما هو أفضل وأكثر ارتقاء.

ولذلك فالتّطلع يُمكّن الآمل من مأموله كما يمكّنه من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة؛ فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع، أي: ينبغي لنا أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نأمل ونعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة إذ كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقْلة، وبلوغ الارتقاء قمّة ونيل المأمول هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[34].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان رغبة واختيارا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يأملوا ويعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقْلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه الغايات، ومن ثمّ نيل المأمولات العظيمة.

الشّخصيَّة المتأهّبة لا ترى المأمول إلّا ممكنًا:

بطبيعة الحال لو لم تفترض الشّخصيَّة المتأهِّبة أنَّ المأمول ممكنًا ما سعت إليه عدَّة واستعدادًا وتهيؤًا، ومن ثمَّ تأهَّبت له وهي متحديَّة للصعاب ولا يأس في نفسها ولا قنوط.

[34] الكهف 88.

ولذا فلا شك أنَّ الأمل بحث عن مكانة، ولا شكّ أنَّ الغاية هي بلوغها، وأن والمأمول هو تبوؤها، ومع ذلك المكانة يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يرى المكانة تطوّرًا يطرأ على الكائنات الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقية لم تكن نتاج تكيف بيئي حتى تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانية له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هي عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين أنواعها وتجويدها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع، فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة، ولأنّه كذلك؛ فالأمل لا يفارقه، ولهذا؛ فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها ونيل المأمول.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب إرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوفّرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم، ولذلك؛ فالكائنات

قابلة لأن تتغيّر، وفقا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعية، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقاؤه؛ فالإنسان خُلق متميّزا بخصائص الارتقاء وصفاته التي لم تكن من خصائص الكائنات وصفاتها التي هي عاجزة عن صنع أمل يغيّر أحوالها.

ولذلك فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المأمول إنتاجا، وفي ذات الوقت يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ولذا فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعًا للمشاهدة مثل: الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا، يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثا علميّا مضنيا، وجهدا ينجز وفقا للأهداف المحدّدة والأغراض التي من ورائها والغايات المأمول بلوغها قمّة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعا للملاحظة مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدًا من الاحترام والتقدير والاعتبار؛ وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له في دائرة الممكن تمدّدا على حساب الغير.

ولأنّه الممكِن ارتقاء؛ فهو بين متوقّع وغير متوقّع، فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب. أمّا غير المتوقّع، فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن، ولهذا إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السَّابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتا. ومن هنا، ينبغي لنا أن نتعرّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقا ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%) والمتوقّع يمكن أن يكون سالبا، ويمكن أن يكون موجبا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط؛ ولذلك فهم دائمًا يفاجئون كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعًا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والاستراتيجيَّات وفقًا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبًا وما هو متوقّع سالبًا، وما هو غير متوقّع موجبًا، وما وهو غير متوقّع سالبًا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلًا؛ فعلى الشّخصيَّة المتأهّبة أنْ:

. تصنع له أملا عظيمًا.

. تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تقرّر وتعمل.

. تخطّط لما هو غير متوقّع مثلما تخطط للمتوقّع.

. تعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس، حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. تقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب ألا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان ومأمولاته الرفيعة.

وبالتّالي فمن يرسم الخطط والاستراتيجيَّات ويعد البرامج وفقًا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث، ولذلك؛ فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر وصنع الأمل، وهذا يعني: أنّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرا، أي: إنّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي

يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي ذات الوقت يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا. أي: إنّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي له أن يراه وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا، ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث وتحدث المفاجئات المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة، ونيل المأمول.

فالممكن احتمالا يسبق ما يمكن أن يكون محتملًا أو غير محتملٍ، وهكذا حال الأمل، ولهذا فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا، فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل كما يسبق أمل الآمل مأموله، ومن ثمّ، يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذن: فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في

حاجة لمزيد من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكن، ولكنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدودية إمكاناته، وبالرّغم من ذلك فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي.

ولهذا فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة، فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

ومع أنَّ في دائرة الممكن يتساوى حجم المتوقّع مع غير متوقّع، ولكن تظل دائرة الممكن واسعة؛ فمهما فكّرنا فلن نبلغ كلّ ما نفكّر فيه، فعلى سبيل المثال: البحث عن العمل، لو لم يكن ممكنا، ما كان البحث عنه، ولهذا؛ فالبحث عن العمل ممكن، والحصول عليه ممكن، وعدم الحصول عليه ممكن أيضا. ولكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل كما قُدِّمت إلى محمَّد أبو عزيزي بمدينة سيدي أبو زيد بتونس الذي كان الأمر بالنّسبة إليه غير متوقّع، وذلك في مقابل

ما اتخذه من فعل (الاحتراق) الذي لم يكن هو الآخر متوقّعا من قبل الذين قدّموا له الإهانات، ممّا ترتّب على الفعلين غير المتوقّعين فعل ثالث غير متوقّع، ألّا وهو الثورة، التي لم تطفئ نارها إلّا بسقوط نظام الرئيس التونسي زين العابدين بن علي من قمّة السُّلَّم السّلطاني.

ولذا فالعلاقة بين المتوقّع وغير المتوقّع هي علاقة ممكن (قاعدة واستثناء)؛ فإذ ما كانت القاعدة كان الاستثناء متلازما معها، ومن هنا، يجب التفكير وفقا للقاعدة دون الغفلة عن الاستثناء، ومن يغفل عنها فليس له إلّا المزيد من المفاجئات.

وبما أنَّ الارتقاء ممكنٌ؛ فلا مستحيل ولا معجز في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء، فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي لنا تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام قبول التحدّي والمزيد من بذل الجهد ارتقاء، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل والمعجز؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنَّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن هو ارتقاء لأداء العمل الموجب، وكذلك هو ارتقاء لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب، فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة ، وهنا يوجد مفتاحٌ.

إذن: فمن تهيّأ واستعد لعملٍ وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار

أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب يمكّن من نيل المأمول.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعداد، فلا إمكانية، إذ لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما.

ومع أنَّه لا إمكانيَّة للارتقاء بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي: تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا.

ولذلك فالغاية من بعد الحلّ هي نيل المأمول مكانة تمكّن من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرِع بحركة إحداث النُّقْلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛ ولهذا لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النقلة المأمولة[35].

الشّخصيَّةُ المتأهِّبة متحدّية للصِّعاب:

مع أنَّ الصِّعاب عنيدة؛ فإنَّها لا تصمد أمام الشّخصيَّة المتأهِّبة لها تحديًا، ومع ذلك فالصِّعاب تستوجب مزيدًا من الجهد لتحديها دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصِّعاب كي تتيسّر الأمور

[35] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ص 70 . 113.

ارتقاء؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصِّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالتهيّؤ لتحدي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاء؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك

الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب فعليك:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد. أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[36].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيا وقهرا للباطل.

[36] الأحزاب 25.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصِّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا، ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

ومن هنا تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلّا بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزاح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك.

ولأنّها عوائق فهي قابلة لأن تزاح، ولأنّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه، سيجد نفسه متأخرًا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على تحدّيها. ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلّعين لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا

يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانية؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانيّة لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب أملا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. أصْمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفّة العدالة.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائما أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدي بتحدٍّ.

. قبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا أو يخالجك جبنا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدّيًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

ولذلك فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهَّبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقًا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافزٌ ودافعٌ.

ولذلك فتَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليات الإنجاز، ويُسرّع من عمليات الإقدام ويحقّق نجاحا رائعا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك، فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى

الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائما راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب غرس الثقة في أنفسنا ثمّ استمداد القوّة منها إن أردنا بلوغ المأمول، وإلّا سنكون ضعفاء ولا شيء لدينا إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لنا مستقبلا؛ ولهذا لا ينبغي لنا أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النفسية والبدنية والمالية لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثّقة في النفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيَّة الموجبة.

. غرس الثّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والثقافيّة والنفسيّة والذوقيّة وفقًا للخطط والاستراتيجيَّات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثّقة في أفراد الشعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجا.

. استثمار الإمكانات البشرية والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهمية المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحِّها، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليات التغيير الموجب.

. تأكيد أهمية المشاركة ودورها في بناء الثقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدولة ومؤسّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشّكوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من

أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلا ممكنٌ، وكلّ مستحيل مثبت وهو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم يوم الحساب ولكنّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود فإنّه لا ينفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السبت فإنَّ الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه. إنّه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحل يحدثان وفقا لتوقعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا على فعله، أي: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فنتوقعه ويحدث داخلنا[37].

[37] عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14.

تحدّي الصِّعاب تحدّي المخاطر:

التحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيةً وحُسن إدارة؟

ولأنّ التحدّي لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي لمن يرغب التحدّي ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[38].

العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصفر تحدٍ دون أن يتوقّف عنده أملا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر، ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة الأمجاد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه تحدٍّ.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ

[38] الأنعام 135.

حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا فعليه بالعمل وتحدّي الصِّعاب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة[39].

الشّخصيَّة المتأهُّبة للفعل:

الشّخصيَّة المتأهِّبة للفعل هي العازمة على نيل المأمول بلا تردّد؛ ولذا فالفعل أمر يتحقّق ويترك أثرًا (موجبًا أو سالبًا)، ولا يكون إلَّا عن أخذ قرار وتدبُّر، سواء في حالة إدراك الفاعل لأثر فعله وما يترتّب عليه، أم بعدم إدراكه لذلك، وكما يقال: (القانون لا يحمي المغفّلين) مما يجعل المترتّب على الفعل جريمة، وتطرُّفًا، وإفساد في الأرض، أو بناءً وإعمارًا وصلحًا وعفوًا.

ولهذا تتجسّد الأفعال عملًا وسلوكًا على أيدي الفاعلين لها، مما يجعل صفات الفعل ملتصقة بهم، كالتصاق السّرقة بالسَّارق، والتطرُّف بالمتطرِّف، والكذب بالكاذب، والجريمة بالمجرم، والاحترام بالمحترم، والصّدق بالصَّادق، والأمانة بالأمين، وهكذا.

---

[39] عقيل حسين عقيل، تحدّي الصِّعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م، 5 – 17.

ومع أنَّ للكلمة معنى فإنَّها لا تعني شيئًا إذا لم تصبح فعلًا مجسّدًا عملًا وسلوكًا، ومن هنا تتجسّد الكلمة المتطرِّفة بالفعل المؤلم عملًا متطرِّفًا ما يجعل التطرُّف صفة الفاعلين له.

ومع أنَّ التطرّف يُفعل، ويترك أثرًا مؤلمًا، ويجرّمه القانون، ويعاقب مرتكبيه، فلا إمكانية للقضاء على التطرّف قانونًا أو عقابًا؛ ذلك لأنَّ التطرّف فكرًا والفكر لا يصحّح إلَّا بالفِكْر من خلال معرفة:

ـ العلّة التي أثارت العقل واستفزّت ملكاته.

ـ موقظات الإرادة التي لفتت الإنسان لعقله وحرّرته من الخوف، ومن قيود الفضائل، والقيم، والقوانين.

ـ مثيرات التهيؤ بعد أن أصبحت حيويَّةً، ولفتت الإنسان إلى نفسه وعلاقته بالغير من أجل أن يتخذ موقفًا به تواجه المستفزّات.

ـ دوافع الاستعداد التي قدّرت الفعل وخطورته، ثم مكّنت من تقدير الفعل وتحديد المستوجب لتنفيذه.

ـ كيفية إعداد العدّة واختيار أنسبها لتنفيذ الفعل.

ـ أساليب التأهُّب التي مكّنت من وضع الأهداف موضع الصيَّاد من الطريدة.

ـ المعطيات التي ألغت التردّد من نفس المتطرِّف وجعلت الفعل منفَّذًا وفقًا للخطط الرَّئيسة أو البديلة.

وعليه: فالتطرُّف عندما يُنظر إليه مجردًا عن الذّات والموضوع، ما هو إلا قضيّة فكريّة بداية ليس للسُّلوك أثر فيها، وإنما تتولّد القناعات العقليَّة من الفكرة، وهذه القناعات تنبع غالبًا من المتضادات الفكرية التي لا تجعل للآخر اعتبارًا في بعض الأحيان، ويضاف إلى ذلك مؤثرات خارجيَّة من المجتمع والبيئة تنمو مع نمو الإنسان حتى تصبح جزءًا من شخصيته التي من الصعوبة أن تنفك عنها، الأمر الذي يجعل الأنا على خلاف مع الآخر في أشياء منطقيَّة حتى تصبح له سلوكًا.

وعلى هذا فالسُّلوك لا يرجع إلى الذات، وإنما يترتّب على الأفكار التي تثيره وتحرّكه الدوافع وتحدد اتجاهه، فالفكرة المجرَّدة هي الأساس بداية في تحريك الدوافع، ومن ثَمَّ إثارة السُّلوك وتحديد اتجاه الأفراد وكيف يتصرَّفون.

إنَّ الدوافع عادة تنشأ عن أسباب داخليَّة ذاتيَّة وخارجيَّة، تؤدّي إلى سلوك الفرد وتصرّفه وفق ما يتصرف به معظم الأفراد في المجتمع الذي يعيش فيه، وبالكيفيّة التي يتصرَّفون بها؛ ومعظم الأفراد لديهم إحساس واضح بما يحدث ويؤدّي إلى دفعهم للقيام بفعل ما انطلاقًا من المركز، سواءً أكان المركز يتمثل في الأنا، أم أنّ آخرين يرونه في الآخر حسب ما اكتسبوا من معارف وخبرات؛ ولذا فللسُّلوك مثيرات تستحضر التهيّؤ والاستعداد والإرادة وتجعل الإنسان متأهِّبًا للإقدام على أداء الفعل مهما كانت النتائج

المترتّبة عليه كلّ وفق اتجاهه الذي أُعِدَّ عليه أو تشرَّب معلوماته منه سواء أكانت تلك المعلومات خاطئة أم أنَّها كانت صائبة.

وهنا فمثيرات السُّلوك هي من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الحركة قبل وقوع الفعل، وهذه المثيرات هي التي تستفزّ الإنسان بالتهيّؤ وتوجهه إرادة لاستمداد القوّة واستمداد وسائل إظهارها بغض النظر عن كونها شرعيَّة أم غير شرعيَّة، فكلٌّ حسب وجهته التي ارتضاها بإرادة.

فالإنسان المحترم تثيره الأفكار التي تولِّد عنده شعورًا اتجاه الآخرين كما تولِّد ردود أفعال اتجاههم، مما يجعله بعد تهيّؤ واستعداد وتأهب قادرًا على أن يقدِمَ على فعل مؤيدٍ أو فعل معارضٍ لذلك الفكر وأصحابه.

إنَّ استجابة الإنسان لمثير ما في سلوكه، يتوقّف على مكتسباته من الأفكار والعادات والتجارب، ومن ثَمَّ طرق التصرف التي تعلّمها من قبل استنادًا إلى معرفته السَّابقة، مما يجعل تصرُّف بعض الأفراد غير مؤسّس على أهداف واضحة محدّدة، والبعض الآخر يتّصف بالتحديد الدقيق في موقف ما وفق أهداف واضحة محدّدة، وبعضٍ منهم يكون سلوكهم لأجل الدفاع عن الأنا بصرف النظر عن الحقِّ والباطل أو الصواب والخطأ، وفي هذه الحالة تكون نظرة الفاعل لهذا السُّلوك نابعة من الأنا التي يعدّها تمثّل المركز.

أمّا اتجاه السُّلوك فيتمثل في العادات التي اكتسبها الفرد والمهارات التي يتمتَّع بها والقدرات التي يمتلكها، وكثيرًا ما نجد الدوافع هي التي تحدّد اتجاه السُّلوك، من نجاح وفشل ومن ثأرٍ وانتقام، ومنافسة، وصراع، وصدام،

واقتتال، وإقصاء، وتغييب، وتسفيه، وتقليل شأن؛ فكلّ السالب منها إن حدث ترتّب التطرُّف عليه بأسباب موضوعية.

إذن: فالدوافع التي تعمل على توجيه السُّلوك متباينة لدى الأفراد، منها: الدوافع النفسيَّة، والغريزيَّة، والفكريَّة، وكلّها قادرة على تحديد سلوك الفرد وتوجيهه، مما جعل الدوافع متأثِّرة بالحاجات ومشبعاتها، وهذه الدوافع التي تؤثّر في السُّلوك وتؤطّره وتحدد اتجاهه، تتطوَّر وتتشعَّب من خلال الخبرات المتراكمة من التجارب والثقافة التي مصدرها الفكرة.

إنَّ الدوافع التي توجّه بالسُّلوك تتطوَّر وتتشعب سلبًا وإيجابًا بتبني أفكار جديدة والتخلّي عن أفكار أخرى أو محاولة الجمع بينها أحيانا، وهذا أمر يعمل على التأثير في الأفراد والتجمعات خلال مسيرة الحياة، ومع ذلك فإنّ السُّلوك لا يُمكِّن من الوقوف على الأصول التي نبعت منها دوافعه على الرغم أنه ناتج عنها؛ وذلك لما يطرأ عليها من أفكار تُقرأ من وجوه متعددة وتخرج بمفاهيم متباينة للفكرة الواحدة؛ لذا نجد بعض الأفراد يتَّصفون برغباتهم القويّة في الانتماء الاجتماعي الذي قد ينشأ بسبب تأثير عوامل معينة في مجتمع معين، ومع ذلك نجد أفرادا آخرين يرفضون هذا الانتماء في المجتمع نفسه، فيترتّب عليه اختلاف في السُّلوك، وهنا تنشأ عللٌ تجعل أفراد البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد لا يمكن أن يستقوا دوافعهم من مصدر واحد وإن اشتركوا في تجمع بشري وجغرافي، فالتجمع الجغرافي

لا يُلغي تعدّد المصادر الفكرية متنوّعة الاتجاهات، مما يجعل الأحزاب السياسيَّة والاتجاهات الفكرية في المجتمع الواحد تتعدّد.

وكثيرًا ما تتداخل أنواعٌ من الدوافع التي تُحفِّز السُّلوك وتتأثّر به، فقد تتمثّل الرَّغبة لدى بعض الأفراد في اكتساب خبرات جديدة نابعة من دوافع الاتزان والحرص، كما يكون الانطواء والخوف دافعا للاقتناع بالواقع لدى بعضٍ آخر، وعلى هذه الدوافع يتحدّد اتجاه السُّلوك؛ ونتيجة لذلك فإنَّ بعض النَّاس يتصرّفون وكأنّهم يبحثون عن الجديد بصورة مستمرة، بينما يبدو بعضهم وكأنّه قانع بالأشياء المألوفة لديه وقد لا يرتضي التغيير وإن كان نافعًا.

ومع ذلك فإنّ الفكر هو الأساس المؤثّر في السُّلوك مرونة أو تطرُّفًا وفقًا للوجهة التي يتوجَّه الإنسان إليها؛ لذا لا يمكن لأحد أن يرسم صورة للتطرُّف أو المتطرّف قبل الوقوف على تلك الأفكار التي أنتجت الدوافع المؤثّرة في السُّلوك وحدّدت اتجاهه في أقوال وأفعال أدّت إلى التطلّع من أجل تحقيق نتائج يمليها الفكر من بينها رفض التمركز على شخصٍ واحدٍ أو على رؤية واحدة لفردٍ أو جماعة معيّنة، بل يجب أن يتمّ نقل المركز وتبادله من الأنا إلى الآخر أو العكس كلّ بإرادة مع وافر الشفافية.

ومن يفترض نفسه نقطة التمركز في الاعتدال والتوازن ظانًا أنَّه يعبِّر عن الفضيلة والقيم السامية والأخلاق الرَّفيعة، فقد حدّد مواقع الآخرين ومواقفهم تبعا لذلك، وبالتالي فهو يعطي مبررا للآخر أن يفترض الفرضيَّة

نفسها، ومن هنا تنشأ القضية المعيارية للتضاد الفكري؛ فالذي يُقرُّ سحق الآخر، وإلغاءه لمخالفة الرأي فقد ركب من التطرف مركبًا.

إنَّ الأفكار المتضادة عبر التَّاريخ التي نمت وقيّمت الآخر بميزان الأنا، أنتجت مسميات للتضاد الفكري من (مركزٍ، ويمين، ويسار، ووسط، ويمين الوسط، ويسار الوسط، وكذلك اليسار المتطرّف، واليمين المتطرِّف)، ولكلٍّ وجهة هو موليها.

ومن هنا إنْ نصّبت الأنا نفسها ممثلًا لقيم الفضيلة ومركز لها، فقد حدّدت موقع الآخر تبعًا لذلك وفقًا للمقياس الذي ارتضته لنفسها دون استشارة الآخر، وغالبا ما يكون هذا المقياس الشخصاني متعارضا مع الآخر وقيمه وفضائله بنسب متسلسلة تصل أحيانا حدّ التصادم.

إنَّ مثل هذه النظرة التي تدَّعي أنَّها قادرة على وضع الموازين، وتدَّعي أنَّها قسط، ومركز يجب على الآخرين الدوران من حولها تُعدُّ فاقدة مبرراتها؛ بما أنَّها قررت أن تعارض أفكار الغير لمجرد أنّهم الغير، وهي بهذه النظرة قد وضعت نفسها في المواجهة أمام فوهة المتطرَّفين الذين إن قرروا أصبح الموت مطلبا يتسارعون في نيله دون خوف وبلا تردُّد. ويصبح المتطرِّفون قادرين على اتباع أساليب التطرُّف المتنوّعة التي منها العنف الدموي.

إقدام الشّخصيَّة على الفعل:

عندما تتساوى كفَّتا الحياة والموت عند الإنسان فلا استغراب أن يصبح متطرِّفًا، أي: عندما يتلقّى الإنسان تعاليم وأفكار منحرفة ومتطرّفة وكأنَّها حقائق دامغة للباطل يرسّخها في نفسه، ومن ثمّ يتحفّز إلى العمل الممكّن من الفوز بما يظنُّه الجزاء الأوفى.

ومن هنا فإن توافر العزم والإصرار يصاحبه على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون مما يجعل الإصبع على الزِّناد استعدادًا للرمي في زمن الانقضاض.

ولذا؛ فالتأهّب يؤجج في النفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد، مع شجاعةٍ وبلاءٍ وإصرار على الإنجاز في الوقت المحدد للتنفيذ؛ خوفًا من التأخير الذي فيه تعشش المفاجئات؛ ولذلك دائمًا لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

ومن ثمَّ في التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض وتنفيذ الفعل؛ ولهذا فالفاعل عندما يكون متأهِّبًا تكون مشاعره وأحاسيسه مصهورة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل، والشّكّ من ملكاته منتزع انتزاعًا.

فذلك الصحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد لو لم يكن متأهِّبًا للرمي ما رماه أمام أعين النَّاس على شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصحفيين الذين

هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصحفي الموقَّر.

ولذا من يتأهّب للشيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّذ ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد، دون أن ينتظر رأيًا أو توجيها من أحدٍ.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالأفراد بدون شكّ على مستوى المسؤوليَّة يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقَّع حيال إنجاح مهمة من مهماتهم المكلَّفين بها أو المناطة بهم، ولكنهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقَّع مما يجعل المفاجآت تتكرر أمامهم رغم الاستعداد والعدّة والعتاد.

وهنا فالاستعداد لا يكفي ولا يمكن أن يكون ضامنا ومحققا للنجاحات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهميَّة وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

وعليه: فإنَّ الفعل تتويج للتهيّؤ والإرادة والاستعداد والتأهّب؛ فهو من غيرها لن يكون المؤثّر في صناعة المستقبل الأفضل، وهو الذي لا

يتحقّق إلا من فاعل من أجل مفعول لأجله، والفعل حركة وسلوك وإنجاز، وعندما يتحقّق لن تنتهي الأمور بل يتوجَّه الفاعلون إلى بلوغ الغايات المأمولة؛ ولهذا فكثير من الأفعال تُفعل لإزاحة عوائق حائلة بين الذين لهم أمل وما يأملونه من غايات.

ولهذا يُعدّ الفعل خروج من دائرة السّكون إلى دائرة التنفيذ إنجازًا للأهداف أوّلًا بأوّل، من خلال تمدّد القوّة وحركتها الفكريَّة والماديَّة.

والحركة الفكريَّة: هي التي تحدث عندما تمتدّ الأفكار من عقول حامليها وصدورهم إلى عقول وصدور أخرى، فتشغل حيّزًا عندهم نتيجة امتدادها إليهم، وتنتشر بين النَّاس حسب قوّة تأثيرها سلبًا وإيجابًا، وحسب قوّة الفكرة أو الحُجَّة التي تتضمّنها.

أمَّا الحركة الماديَّة: فهي التي تمتدّ بقوّتها المحسوسة القابلة للملاحظة والمشاهدة سواءً أكانت بناء وإعمارًا، أم تطرُّفًا وانحدارًا؛ فيكون لها الأثر الإيجابي أو السلبي باختلاف المتأثِّرين بها والمؤثِّرين فيها وباختلاف الزَّمان والمكان.

والحركة قد تكون متَّصلة وقد تكون منفصلة؛ فالحركة المتَّصلة هي التي تكون بين جزئياتها حُجَّة تجعل لها وحدة تجمعها، والحركة المنفصلة هي الحركة التي تتجسَّد وتُعرف من خلال الكلمة المحمولة فيها التي بها تتميَّز عن غيرها، فعلى سبيل المثال: كلمة (مقاومة) تحمل في أحشائها حركة المقاومين الفكرية والماديّة وصمودهم في مواجهة الأفكار وفي وجه المعتدين؛

ولهذا فالمقاومة جهد يُبذل مما جعل كلمة (مقاومة) مجسدة لِما تعنيه المقاومة، وجعل أفعال المقاومة محمولة فيها دلالة ومعنى، وهذه المقاومة قد تؤدّي إلى تطوُّر وتحسُّن في المواقف وقد تُؤدّي إلى تأزُّمات جديدة، وهكذا كلمة (هجرة) فيها حركة منفصلة عن غيرها من الكلمات ذات الحركة، فالهجرة الداخليَّة تنفصل عن الهجرة الخارجيَّة، وهجرة الأسماك من المياه الباردة إلى المياه الدافئة تنفصل عن هجرة الطيور من فصل إلى فصل، ومع أن الهجرة كلمة تحمل في مدلولاتها حركة إلا أنّ الهجرة غير متحرِّكة، بل المهاجرون هم المتحركون تجاه هدف من ورائه غاية.

ومع ذلك فالحركة لا تكون إلا بقوّة وقدرة تجعل الجهد يُبذل ويوجَّه تجاه الأهداف المحدَّدة للإنجاز في زمن معَيَّن؛ ولهذا فلا حركة بلا زمان ولا زمان إلا بحركة، ولا يمكن أن يسبق أحدهما الآخر، فلو كان الزمان سابقا على الحركة لكانت الحركة عبارة عن حدث من أحداث الزمان، ولو كانت الحركة سابقة على الزمان لكان الزمان عبارة عن حدث حركي أو مولود الحركة الأوّل، وعليه فكلٌّ منهما مترتّب وجوده مع الآخر لا مترتِّب عليه.

ولأنَّ الفعل لم يكن نهاية مسعى الفاعل؛ لذلك لم يكن غاية، بل الغاية نتاج ما يترتّب على المفعول من نفع حتى وإن كان الفعل ضررًا.

والنفع هو ترك الأثر الموجب في الآخر أو في بعض أحواله، أمَّا الضرر فهو ما يترك أثرا سلبيا في الآخر بوجه من الوجوه، ويتباين ذلك بين تطرُّف وشدّة مفرطة ربما ينتج عنهما القتل بغير حق.

ومع أنَّ القتل نتاج فعل فاعل إلّا أنّه في بعض الأحيان يُعدُّ هو الفعل المفضَّل في سبيل تحقيق غايات عظيمة؛ ولهذا فالقاتل عمدا يُقتل شرعًا، إلا إذا لعبت الإرادة دورها في العفو، والصلح خير؛ ولهذا يُعد القتل بغير حق ظُلم وإثم مُجرَّم ومُحرَّم، ويُعدُّ القتل الحقّ نتيجة لإحقاق الحقّ وزهق الباطل ودمغه من أجل غايات عظيمة جعلت للإنسان قيمة كما جعلت الحق فضيلة والعدل فضيلة والعفو بين النَّاس فضيلة وقيمة، ومن تطرَّف عن ذلك تطرَّف؛ ولهذا إن لم يكن الإصلاح والعودة إلى الأصل الذي يُرضي النَّاس على غير معصية تصبح أفعال التطرُّف هي العملة الدَّاعمة لرفع رأسمال مصارف الدم.

الشّخصيَّة المتأهبة لمواجهة أفعال التغييب:

التغييب فعل إقصائي به يغيب المواطن عن ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمل مسؤوليَّاته، وهنا تكمن علّة توليد التطرّف من رحم انعدام ممارسة الحريَّة، أي: عندما يستشعر المواطن أنَّه غريبٌ في وطنه ليس له بدٌّ إلَّا الرَّفض، ثمّ التمرّد والثورة التي تمكّن من التصحيح والإصلاح وإلّا لا مجال للمواطن إلّا مزيدًا من التحدّي المتوَّج بأفعال التطرُّف.

والتغييب فعل مترتّب على أفعال الإقصاء العمدي الذي لا يفسح مجالًا للتعاون والتفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر، فإن غُيِّبَ أحد الطرفين بأيّة تعليلات تصبح العلّة فِي من كان سببًا وراء فعل التغييب؛ ذلك أنّ

الذي يكون أساس المشكلة أو جزءًا منها، لا بدّ أن يكون أساس الحلّ الرئيس أو جزءًا منه.

ولهذا في حالة غياب الآخر الذي يتعلّق الأمر به يكون الحلّ ناقصًا بسبب تغييبه وليس غيابه؛ ذلك أنّ الغياب ذاتي صادر عن الأنا، أمّا التغييب فمصدره إمّا من الأنا للآخر أو من الآخر للأنا عمدًا، وهذا التغييب غالبًا ما يكون من أجل فرض رؤية الأنا المركزيَّة الأمر الذي يؤدّي إلى:

. رفض الحلّ.

. تعدّد أنواع التطرّف.

. ازدياد حدّة المتطرّفين.

ومن ثمَّ، فنار الغضب تزداد اشتعالًا في الأفراد والجماعات الذين غيِّبوا عن المشاركة في إيجاد الحلّ للقضيّة التي هم أحد عناصرها الرّئيسة، وبالتّالي فإنَّ الأمر لا يقف عند حدِّ الرَّفض للحلّول كما يتوقّع البعض، بل الأمر سيؤدّي إلى تنوّع أساليب التطرّف المقاومة للحلّ وتعدّدها وتلوُّنها، والتي نتجت بأسباب التغييب.

فالتطرّف سابق على الحلّ، ولكن بأسباب التغييب تزداد حدّة التطرّف الذي ربما ينتج عنه سلوكٌ يدفع إلى استخدام العنف وسيلة.

ولهذا، فالتغييب يُعدّ من أساليب الرَّفض للآخر، مما يجعل الرَّفض الموجَّه له مثبتًا لوجوده الذي لا ينبغي أن يُغيَّب، وإلَّا هل يمكن أن يُرفض شيء لو لم يكن موجودًا؟

بالتأكيد لو لم يكن موجودًا ما نُفي، ولو لم يكن موجودًا ما رُفض، ولو لم يكن موجودًا ما نُكر، ولو لم يكن موجودًا ما تمّ الخلاف معه ثم غُيّب.

وعليه: فإنَّ رفض الآخر يثبت وجوده آخرًا على ما هو عليه، وهذا الرَّفض يفيد اعترافًا بما هو عليه من التطرّف الذي يجب علاجه بغير أسلوب التغييب.

ولذا؛ فمن الموضوعيَّة أن تتم مشاركة الآخر في مركز مشترك تلغى فيه المركزيَّة الفرديَّة (أنا فقط)، وتظهر الأنا والآخر بمركز جديد منطقه (نحن سويًّا) و (نحن معًا) حضورًا وحوارًا بالكلمة المرنة التي تحمل المعلومة الصَّائبة من جانب، وتصحح المعلومة الخاطئة من جانب آخر، ومن هذا المنطلق يصبح المجال فسيحًا لإظهار نقاط الالتقاء بين الأنا والآخر، إمّا باعتماد إدارة رئيسة (هي المركز العام) أو بمراكز متعدّدة فيها تُمارس الحقوق، وتؤدّى الواجبات، وتُحمل المسؤوليات من قِبَلِ أفراد متعدّدين ومنفّذين لسياسات الإدارة المركز وخططها واستراتيجياتها التي تجمع الأنا والآخر في دائرة (نحن سويًّا).

ومن الأُمور التي تجعل التطرّف يشتدُّ ويتنوّع، أن يُرفض الآخر ويغيَّب، وهذا التغييب هو أعظم من مقاومته متطرِّفًا؛ وهنا يكون المغَيِّبُ أكثر تطرُّفًا من المغَيَّب إن لم يكن مساويه في التشدُّد.

إنَّ رفض مشاركة الآخر وتغييبه وإقصائه بأسباب التطرّف لا يلغيه من الوجود، ولكن قد يجعله على رأس هرم التطرُّف بعد أن كان على مستوى من مستويات الرّفض والتمرّد؛ ولذا فمن يستهدف الآخرين بالتغييب والإقصاء سيجد نفسه أكثر النَّاس على إثبات وجودهم طرفًا من أطراف المعادلة.

ولأنّ الأمر لا يكون إلا كذلك، فينبغي أن يُؤسّس مركز يتوسَّط المركزين، ويقوم على شعرة تعادل كتفي الميزان دون طلب تنازلات عن حقوق واجبة الممارسة مما يجعل المركز مؤسّسا على الموضوعيَّة لا على التنازلات.

ولهذا فإن أحدثت التنازلات لقاءً فسيكون من بعده افتراقٌ مملوء بالتطرّف نتيجة التنازلات بأسباب الحاجة والظروف المتغيّرة في دائرة الممكن؛ ذلك أنّ الأنا والآخر قد يتّفقان على تقديم تنازلات تحت إملاءات ظروف معيّنة، ولأسباب الضرورة وبتوافر معطيات جديدة فيها تتحسَّن الأحوال فتصبح تلك التنازلات في مهب الرّيح؛ إلّا أنَّ هذه التنازلات من جملة ما تعنيه أنَّه لم يتمّ تقبّل الأنا (هو كما هو)، ولا تقبُّل الآخر (هو كما هو)؛ فتكون التنازلات مرحلّية من أجل اغتنام الفرص

المواتية للعودة إلى الاستحواذ عمّا تمّ التنازل عنه، الأمر الذي يؤدّي إلى الاستهانة وظهور الأنا المركزيَّة مرّة ثانية بعلل وأسباب تلك التنازلات.

ولذا يجب الانتباه لما تحمله الاستهانة من مضامين كثيرة يترتّب عليها:

- عدم الاحترام.
- عدم الاعتراف.
- عدم التقدير.
- عدم الاعتبار.
- عدم التفهُّم.

ومن هنا نجد الاستهانة من المكامن الرَّئيسة التي تؤدّي إلى التطرّف، ويا ليت الأنا والآخر لم يكونا مستهينين ببعضهما، فلو لم يكونا المستهينين لما كان التطرّف.

وعليه: ينبغي الاعتراف بالآخر مشاركًا في حقٍّ، ومؤدٍّ لواجبٍ، وحاملٍ لمسؤوليَّة، وأنَّ له خصوصيَّة مقدَّرة، ولا داعي لنفيه وإقصائه وتغييبه وتهميشه؛ ذلك أنَّ نفيه يثبت وجوده، أي: إنَّه:

- موجود بدليل نفيه.
- موجود بدليل رفضه.
- موجود بدليل نكرانه.

. موجود بدليل عدم الاعتراف به.

. موجود بتغييبه.

وأقصر الطرق وأفضلها للإقرار بما هو موجود، الجلوس على طاولة (نحن) الأمر الذي يليق بالأنا والآخر عندما يقبل كلّ منهما الآخر (هو كما هو).

وقبول الآخر هو كما هو، مرتكز أساس من مرتكزات القبول النابع عن الاعتراف بالوجود المؤدّي إلى الاستيعاب.

إنَّ إرساء مبدأ التقبُّل بين الأنا والآخر على أساس (هما كما هما عليه) يؤدّي إلى العمل من أجل ما يجب أن يكونا عليه معًا في دائرة (نحن سويًّا)؛ ولذا ما يجب أن يكون عليه كلّ من الأنا والآخر هو المستهدف من وراء مبدأ التقبّل (هما كما هما عليه)، وهذا الأمر يجعل كلًّا من الأنا والآخر على خط التقبُّل مع فائق التقدير والاحترام، ومدُّ الأيدي إلى ما يحقّق الطموحات المشتركة للإنسان على أيِّ مستوى من المستويات التي يمكن أن يكون عليها سواءً أكانت محلّيَّة أم دوليَّة أم إنسانيَّة.

ولأنَّ التطرُّف أصبح قضية من قضايا تأزُّمات العلائق الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة في الدَّولة وخارج الدَّولة؛ فهل يحقُّ تجريمه بالمطلق على كلِّ المستويات المحلّية والعالميَّة أم يجب النظر إليه وإلى مكامن علله التي قد تتضمّن شيئًا من الحقيقة؟

فعلى المستوى الدّاخلي الوطن للجميع، وممارسة الحقوق فيه حقّ للجميع، وأداء الواجبات واجب على الجميع، وحمْل المسؤوليات عبء يجب أن يتم تحمُّله بإرادة من الجميع؛ ولذا عندما يتعرَّض الوطن لغزوٍ وتُحتَّل أراضيه تصبح مسؤوليَّة الدِّفاع عنه فريضة واجبة على كلِّ قادر حتى وإن وصف حمْل هذه المسؤوليَّة تطرُّفًا من قِبل الآخرين؛ ولهذا فالتطرُّف في مقاومة المحتلِّين للأوطان حقّ يجب أن يكون بأيدي جميع المواطنين ولا يُنتظر فيه رأى من الغير.

وهكذا إذا مُنعت الحقوق وتمّ مصادرتها يُطالب بها، وإذا تمّت المطالبة بها فالحقّ أن تُعطى، فإذا لم تعطَ لا بدّ أن تُنتزع انتزاعًا ولا عيب بعد ذلك في قبول الصّفات تطرُّفًا، أو إرهابًا، أو عنفًا.

ولذا فمن يأخذ حقوق الآخرين، لا بدَّ أن يأتي يوم ينتزعونها منه انتزاعًا وإن وصفوا بالتطرّف فليس لصاحبها إلَّا أن ينتزعها.

والواجبات بما أنَّها تؤدّى فهي واجب، ولكن إذا حُرم الإنسان من أداء الواجبات، فقد حُرم حقّ من حقوقه وإن كانت من الواجبات.

فأداء الواجبات حقّ لمن يمارس حقوقه؛ ولذا من يُحرم من ممارسة حقوقه ويطلب منه أداء واجباته لا يمكن أن يؤدّيها؛ لأنَّها بغير حقّ، وإن أقدم على تأديتها للضرورة فلن يؤدّها بفاعليَّة.

أمَّا عندما تمارس الحقوق بإرادة ولا تؤدّى الواجبات فينبغي أن تفرض (شريعةً أو عرفًا أو دستورًا وقانونًا يُسن من قبل الذين يتعلق أمر أداء الواجبات بهم).

ولذا؛ لا يمكن للمواطن الذي يحيا الوطن فيه أنْ يرفض أداء واجباته طالما أنَّه يمارس حقوقه.

والمسؤوليَّة أيضًا عبء يُحمل مقابل حقوق تُمارس وواجبات تُؤدّى، وإن مُكِّنَ المواطن من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحُرم من مسؤوليَّاته قد يندفع من حيث يدري، أو لا يدري ليكون متطرِّفًا، وهنا يتولّد الصراع والصدام مع وافر الشدَّة والتشدُّد.

ومن هنا توجد علاقة قويّة بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، والحرمان من هذه المعطيات، مما ينتج التطرّف وأفعاله وسلوكيّات فاعليه.

ومن أجل ألَّا يكون للتطرّف دائرة يمتدّ فيها أفرادًا وجماعات ومؤسّسات ودولة ورأس دولة فعليكم ألَّا تستهينوا بالآخر، وتقصوه من شيء ينبغي أن يكون له، أو يكون شريكًا فيه، وعليكم بتقبُّل الغير وفقًا لهذه الحقائق دون شروط أو طلب تنازلات.

وعليكم أن تعرفوا أنَّ لأفعال التطرُّف آلام وأوجاع في معظم الأوقات تفعل بغير حقّ، مما يجعلها في مواجهة رضا الله، ورضا عباده الصَّالحين،

وعليكم أن تعرفوا أنَّ التطرُّف بقدر ما يكون حقّ عندما يتطرَّف الإنسان عن المظالم والعدوان، يكون باطلًا عندما يفعل ظلمًا وعدوانًا.

ولذلك خذوا حذركم من الأفعال الظَّالمة التي ترتكب تفخيخًا وتدميرًا واغتصابًا، وانتبهوا لأبنائكم وإلَّا ستجدونهم أعدائكم، وانتبهوا إلى مناهج مدارسكم ومقرراتها وإلَّا ستجدونها خصمًا، وانتبهوا إلى منابر مساجدكم ومن يتبوَّؤها خطيبًا وإلَّا ستجدونها مشرِّعة للتطرّف، وخذوا حذركم من وسائل الإعلام وإلَّا ستزوِّر حقيقة وجودكم[40].

[40] عقيل حصين عقيل، التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م، ذ76 – 163.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (184) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيمية لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 ـ من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 ـ الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 ـ تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 ـ ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 ـ موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 . الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 . مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 . المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 . الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 . مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانية، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشّخصيّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (184) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/